

خالد محمد خالد

إنسانيات

محمد
صلى الله عليه وسلم

الموقف
للنشر والتوزيع

كل الحقوق
محفوظة

Copyright
All rights reserved

المقطب
للنشر والتوزيع

القاهرة - مصر
٥٠ شارع الشيخ ربحان - عابدين

Tel: (00202) 7958215-7946109

Fax: (00202) 5082233

Email:
elmokatam@hotmail.com

رقم الإيداع ١٤٨٧٢ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولي I.S.B.N.

5 - 42 - 5732 - 977



الإهداء.

- يا من جئت الحياة، فأعطيت ولم تأخذ.
- يا من قدست الوجود كله، ومرعيت قضية الإنسان.
- يا من زكيت سيادة العقل، وطمعت غريزة القطيع.
- يا من هياك تفوقك لتكون سيدنا "فوق" الجميع فعمشت
واحدنا "بين" الجميع...!!
- يا من أعطيت التدوية، وضربت المثل وعبدت
الطريق.
- يا أيها الرسول، والاب، والأخ، والصديق... إليك
أهدي هذه الصفحات في حياة من يعلم أنه تجاوز قدسه
لهذا الإهداء..





مصادر الأحاديث

✿ الصحيحان ✿ للإمامين البخاري ومسلم

✿ مسند الإمام أحمد ✿ للإمام أحمد بن حنبل

✿ الترغيب والترهيب ✿ للحافظ المنذرى

✿ تيسير الوصول إلى أحاديث الرسول ✿

للحافظ ابن الديبع الشيبانى

✿ رياض الصالحين ✿ للإمام النووى

✿ الطبقات الكبرى ✿ للإمام ابن سعد



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

لو لم يكن "محمد" "رسولاً" لكان "إنساناً" فى مستوى الرسول...!!
ولو لم يتلق الأمر من ربه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ لَتَلَقَّاهُ
من ذاتِ نفسه، يا أيها الإنسان بَلِّغْ ما يعتمَلُ فى ضميرك..
ذلك أن "محمدًا الإنسان" جاوزَ نُضْجَهُ وارتقاؤه كُلَّ مُحُومِ الذات
وحدودها، ولم يكن ثمة سبيل لوقف انتشار هذا النضج، وهذا الارتقاء خارج
الذات، وخارج البيئة.. بل خارج كل زمان، وكل مكان..
إن عظمتَه التى فرضت نفسها، ونادت إليها المؤمنين، وإعجاب
المعرضين..
عظمتَه، التى لبثت زهاء ألف وأربعمائة عام، وستظل دوماً، ترسل ضياءها
وسناها.. وتبثُ فى ضمير الزمن رشدًا، ونُهاها.
عظمتَه هذه، تنبع - أول ما تنبع - من إنسانية "محمد" .. من الطريقة التى
كوَّن بها نفسه، ووجدانه، وعقله تحت عين الله ورعايته..
ومن الموقف الذى اختاره والتزمه، تجاه الكون، والناس والحياة..
والحق أن "محمدًا الإنسان" شىء باهر.. فإذا التقى به "محمد الرسول" فإن
عظمتَه آنشد نجاوَز كل حدود الشاء..!
ولكن، لماذا أضع "الإنسان" مقابل "الرسول"؟؟ أو ليس "الرسول"
إنساناً...؟؟

بلى.. إن "الرسول" إنسان.

ولمّا أريد بصفة "الإنسان" هنا، التنبيه إلى أنني أركز الحديث على الطابع البشرى المحض الذى يشترك فيه "محمد" مع غيره من الناس.. والذى تفوّق فيه على من سواه من الناس.

فهذا الطابع البشرى بكل انفعالات، وبساطته، وتلقائيته - هو الذى يُبهجنا ويُبهرنا، لأنه من صنع واحد منا.. واحد مثلنا.. ومن ثم، فهو يمنحنا ثقة بأنفسنا، واحتراماً عظيماً لبشريتنا التى تنجب مثل هذا الطراز الرفيع من الخلق..



ولست أدري، هل هذا كتاب عن "محمد" أو هو كتاب لـ "محمد" .. عليه صلاة الله وسلامه؟

فلقد بدأت التفكير فى الكتاب معتزماً أن أتبع أحاديث "الرسول" ومواقفه، وأختار منها ما يكون الصورة التى أريدها.. صورة "محمد" الإنسان، دون أن أقحم نفسى على هذه المختارات مدركاً أن مجرد تنسيقها، ووضع كل حديث فى مكانه من الصورة، سيكون فصل الخطاب..

بيد أنى لم أكذ أبداً، حتى وجدت أحاديث "الرسول" عليه السلام ومواقفه، تعكس على فكرة خبئها النفيس، وحكمتها المستشيرة..

وهكذا سمحت لنفسي أن أقفّر أثرها، وأستنبط منها معالم النموذج الذى يشكل على نحو جليل، إنسانيات "محمد" الباهرة..

وسمحت لنفسي كذلك أن أسطر ما أفاءته على هذه الأحاديث والمواقف من فهم ومعرفة..

ولقد أثرت الاختصار فى الاستشهاد، على أحاديث الرسول وتصرفاته؛ لأنها أدل على إنسانية صاحبها؛ ولأنها تصوّر - تماماً - تلقائية العمل والنزوع لديه.

- هنالك ترى الإنسان الحاني، الذي لا تُفُلت من قلبه الذكيّ شاردةً من آمال الناس وآلامهم، إلا لبّاه.. ورعاها.. وأعطاها من ذات نفسه كلَّ اهتمام، وتأييد..
- نرى الإنسان الذي يكتب للملوك الأرض، طالباً إليهم أن ينبذوا غرورهم الباطل.. ثم يُصغى في حفاوة ورضاً، لأعرابي حافي القدمين يقول في جهالة: "اعدل يا محمد، فليس المال مالك ولا مال أهلك..!!"
- نرى العابد الأواب، الذي يقف في صلاته، يتلو سورة طويلة من القرآن في انتشاء وغبطة، لا يُقايض عليهما بملء الأرض تيجاناً وذهباً.. ثم لا يلبث أن يسمع بكاء طفل رضيع، كانت أمه تصلى خلف "الرسول" في المسجد: فيضحى بغبطته الكبرى، وحُبوره الجيَّاش وينهى صلاته على عجل، رحمة بالرضيع الذي يبكي وينادي أمه ببيكائه..!!
- نرى الإنسان الذي وقف أمامه - صاغرين - جميع الذين شنوا عليه الحرب والبغضاء، ومثّلوا بجثمان عمه الشهيد "حمزة" ومضغوا كبده في وحشية ضارية؛ فيقول لهم: "اذهبوا؛ فأنتم الطلقاء..!!"
- نرى الإنسان الذي يجمع الخطب لأصحابه في بعض أسفارهم لِيَسْتَوْقِدُوهُ ناراً تنضج لهم الطعام..!!
- والذي يرتجف حين يبصر دابةً تحمل على ظهرها أكثر مما تطيق!!
- والذي يحلب شاته.. وَيَخِيط ثوبه.. وَيَخْصِف نعله..!!

- والذي يقف بين الناس خطيئاً فيقول: "من كنت جلدتُ له ظهراً؛ فهذا ظهري فليقتد منه"!!..

أجل.. نرى الإنسان - أبهى، وأنقى، وأسمى ما يكون الإنسان.



فلنقرب في نهْل.. ولنقرأ في أناة..

واعلموا يا من تطالعون الآن هذا الكتاب - أنكم تعيشون لحظات مُترعة

بغبطة الحياة، مع إنسان ورسول، رفع الله به قدر الحياة..



الرحمة مغفلة

إِنَّمَا أَنَا رَحِيمٌ مُّهِدٌّ



يتيم

جعل الله اليتيم له مهذا

و حين كن أترابه يلودود بآء لهم، و بحر حور بن أيا يهم كطبور الحديفة

كن "محمد" يقلب وجهه في السماء...

لم يقل قط يا أباي لأنه لم يكن له أب يدعو؟ ولكنه قل كثيرا، وقال

دائما: يا ربى..!!

أى سر في اليتيم حتى يجنّده الله لأعظم حبيب لكلمته، مُدْغِر لرسالته -

المسيح ومحمد...؟

أجل، فالمسيح أيضا كن يتيمًا، و حين جاء الدنيا لم يجد له آباء. بل لقد أنسى

أنه لم يكن له أب على الإطلاق

و حين كن أترابه كذلك ياهور دناهم، ذهب هو يماهى بحير أب، فيشير

بكمه المصيبة إلى فوق..

ويقول - أبى.. الذى في السماء..!!

نرى، هل اختار الله هذا اليتيم، ليفجّر الرحمة في نفسيهما تفجيرًا؟

ربما.. ولبعد لحديث

ولنمصر مع "محمد" في رحمة وإنها لرحمة تنهر الألباب

وارحمه عبد "محمد" لم تكن "رد فعل" ليطمه بل كانت "فعلا" مُسْقِة مع

وجوده الذى استهل يتيمًا

إنها رحمة الأقوياء الباذلين، لا رحمة الضعفاء البائسين
ومن أقوى بين الأحياء جميعاً - من اليسيم الذي يواحه الوجود وحده.
ويهصر بالعبء وحده ويحتفى من حياته "العائل" ليظهر فيها "الرحل"
وليملاً المراع كنه، وينمو تنقائاً كالشجرة النافقة، ويستمد من ذاته أوة دته!!
أحل، ب. انشم لأحل مصادر العظيمة شأاً حين يواتى طملاً يحمل
ستعداداً عظيماً..

ولقد كن محمد كذلك..
و "محمد" القوى بما رس الرحمة ممارسة مؤمن بها، متصمخ بعصره،
مخلوق من عجيتها

وبه - عليه صلاة الله وسلامه - ليهتف بها هتاف كنه دكه وحكمة
و حين تطوف حول أحاديثه عن برحه، ومواقفه مع الرحمة، يجد شيئاً يشبه
المعدلات الرياضيه فهو لا يرحى عن برحه مجرد حديث ينعش العاصمة أو
يسعف فى العراء..

إنه يتحدث عنها حديث حير بقيمتها، ويتبع كل مواطن الحجة إليها،
وكأنه وهو يحيط بها من كل جانب، يصع ها دستوراً وقانوناً

"الراحمون برحمهم الرحمن.."

"أرحموا من فى الأرض، يرحمكم من فى السماء.."

هكذا قال "محمد"

ولكن من هم الراحمون؟؟

ب. فاعد الشيء لا يعطيه

والذى لا يستطيع أن يرحم نفسه لا يستطيع أبداً أن يرحم غيره
ومن هنا يبدأ الحديث عن الرحمة، ويبدأ المحضر عليها وفى براءة الصديق
الذى يصيغ شخصية "محمد"، ويمثلها نوراً - يواجهه عليه السلام رحمه النفس
والدست مواجهة حاسمة، ويختار لهذا رواية ما كان يُظن أبداً أنه يختارها
فمحمد رسول، عابد، حياء ليرفع راية العادة، ويسوق الناس إليها
أفيختار العادة بالذات ليشئ بسببها وبين الرحمة مفاضلة؟؟
أجل، لقد فعلها الإنسان العظيم، وأعلن أن الرحمة خير من الإكراه فى
العبادة وأركى

"خرج رسول الله ﷺ عام الفتح إلى مكة فى رمضان حتى بلغ
موضعاً يدعى - كراع العميم - فصام، وصام الناس.. ولما رأى بعض
الناس قد شق عليهم الصيام بسبب وعناء السفر دعا بقدر من ماء،
فرفعه حتى نظر الناس إليه، ثم شرب..
ولما قيل له: إن بعض الناس لا يزال صائماً قال: أولئك
العصاة.."

ويحدثنا جابر أيضاً

"كان النبى ﷺ فى سفر، فرأى رجلاً قد اجتمع عليه الناس
وطُلِّلَ عليه. فقال: ما باله؟ قالوا: رجل صائم.. فقال عليه السلام
ليس من البر أن تصوموا فى السفر وعليكم برخصة الله التى
رخص لكم، فاقبلوها."

إن رحمة الله تعالى فى اعتبار "محمد" كل شيء - هؤلاء الذين صاموا



في سفر، وأدركهم العبد فلم يتحلوا عن صيامهم، يدمعهم رسول الله بالعصيان،
لأنهم حولوا العادة إلى تعذيب، ولأنهم تحلوا عن أعظم فضائل الإنسان - ألا
وهي الرحمة - لاسيما الرحمة بالنفس، واستنفاء عذبتها وقوتها



ولقد ذهب إلى بيت أبي ذات يوم يمر من أصحابه يسألون عن عبادته، فلم
حروا، بدا عليهم كأنهم تقالؤوا، فقالوا: وأين نحن من أبي عليه السلام لم
عمر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر..

قال أحدهم، أما أنا، فإني أصلي الليل أبداً، ولا نيام منه شيئاً
وقال آخر. وأنا أصوم الدهر ولا أفطر أبداً..
وقال ثالث: وأنا أعزل النساء، فلا أتزوج أبداً..

أين حقوق النفس بشرية في كل هذا؟ وأين وجب الرحمة بها؟؟
إن "محمدًا" عبده كلمة لعص، وسوف يحمي انرحمه من كل عدوان، حتى
لو كان عدوان المبالغة في العبادة والمضيلة !
وهكذا، لا يكاد بأهؤلاء يبلغه حتى يسألهم:

أنتم القوم الذين قلتم كذا، وكذا؟ أم والله إني لأحشاكم
لله، وأتقاكم له، لكني أصوم، وأفطر وأصلي، وأرقد همن رغب
عن سنتي فليس مني.."



ويبلغه ذات مرة أن عبد الله بن عمرو بن العاص يصوم دائماً، ويقوم الليل
كله، فيقول له:

"بلغني أنك تصوم النهار، وتقوم الليل، فلا تفعل، فإن لحسدك

عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولزوجك عليك حقاً - صم ، وأفطر.."

"صم من كل شهر ثلاثة أيام. وذلك صوم الدهر."

"قال يا رسول الله إنني أطيق أفصل من ذلك."

"قال فصم يوماً ، وأفطر يوماً. وذلك صيام داود"

"وهو أعدل الصيام.."

"قال يا رسول الله إنني أطيق أفصل من ذلك."

"قال رسول الله : لا أفضل من ذلك.."

ويحكى الرسول نفسه، عن نفسه فيقول

"إني لأقوم إلى الصلاة وأريد أن أطول فيها. فأسمع بكاء

الصبي، فأتجاوز في صلاتي. كراهية أن أشق على أمه.."

لا شيء يكشف عن قيمة الرحمة عند محمد عليه السلام، مثل وضعها

والعبادة في كفتي ميزان

عنده ترحيح كفة الرحمة رحعاً، أي رُححان !! انظروا

هل تصرون هذا الرجل المفل، مُهزّون الخطى إلى رسول الله، يغشاه المرح،

وتعمره البهجة؟؟ إنه قدم يبايع سبه على المحرة معه وعلى الجهاد في سبيل الله

تحت رايته

فاسمعوا حوار "محمد" له

"هل من والديك أحد حي؟"

"قال الرجل - نعم، كلاهما حي.."

"قال الرسول: فارجع إلى والديك، واحسن صحبتهم."

وهذا رجل آخر، جاء إلى "محمد" يسعى ويقول:



يا رسول الله، جئنا أبائنا على النخرة، وتركنا أبونا يبكيان،
فيجيبه الرسول:

"ارجع إليهما، فأضحكهما كما أبكيتهما."

وثالث يسأل

يا رسول الله، إنني أشتي الجهاد، ولا أقدر عليه
فيقول له الرسول: "هل بقي من والدك أحد؟"
يقول الرجل: نعم....

فيقول "محمد" عليه الصلاة والسلام:
"قابل الله في برهما. فإذا فعلت ذلك فأنت حاج، ومعتبر،
ومجاهد.."

إن سمة نعلو شفتي أب حور، وتكسو وجه أم مثلهم، لا ساع عبد
"محمد" ثمن، حتى حين يكون الثمن جهاد، يُشت دعوته، وينشر في الأفق
البعيدة رايته

وهكذا رأياه يرد إلى والدين دمعين، اب هما جاء يابسه على الجهاد،
وسمعه يقول له تلك الآية الباهرة

"رجع إليهما، فأضحكهما - كما أبكيتهما."

إن رحمة النفس تتم عند "محمد" برحة لوالدين وبرهما، لأنهما مصدر هذه
النفس ووعاؤها.

وإذا كانت العبادة تتحول إلى تعذيب، حين تُجىء على حساب رحمة النفس
فإنها - أعنى العبادة - تتحول إلى عقوق إذا تمّت على حساب رحمة لوالدين

ثم نشر الرحمة لدى "محمد" عليه السلام - حتى يغطي دمه كل مقرر
وحتى تشمل الأحياء جميعاً من إنسان وحيوان.

وعلى المراتب التي تعظم فيها الحاجة إليها، يجد الرسول يركّز إلمامه عليها
فهو - مثلاً - إذا حثّ على الرحمة بالطفل يركّز صورته أشد، على لرحمة بالطفل
اليتيم، أو الطفل اللقيط.

وإذا حثّ على لرحمة بالحيوان، وهو يعمل، يركّز بصورة أسمى، على الرحمة
بالحيوان وهو يلتجئ

وهكذا يدور قلبه الكبير مع دواعي الرحمة حيث تدور!

و لرحمة عبد "محمد" ليست نائمة من نوافل برسل وحنان واحبات
الرشد؛ رتعة من تبعات الحياة

وهي لهذا تُعزّز عن نفسها في عديد من صور الخير، وبشاركة،
والأعمال النافعة

بقول أبو ذر، رضى الله عنه

"سألت رسول الله ﷺ: ماذا يُنْجى العبد من النار؟ قال: الإيمان بالله.
قلت يا نبي الله: مع الإيمان عمل؟ قال: أن تُعطى مما رزقك الله
قلت يا نبي الله، فإن كان فقيراً لا يجد ما يعطى؟ قال: يأمر
بالمعروف وينهى عن المنكر قلت، فإن كان لا يستطيع أن يأمر
بالمعروف، ولا يستطيع أن ينهى عن المنكر؟ قال: فليغن الأخرق. قلت
يا رسول الله، أرايت إن كان لا يحسن أن يصنع؟ قال: فليغن
مظلوماً قلت- فإن كان ضعيفاً لا يستطيع أن يعين مظلوماً؟ قال ما
تريد أن تترك لصاحبك من حيرة؟؟ ليمسك أدام عن الناس. قلت يا

رسول الله. أو إن فعل هذا يدخل الجنة؟ قال: ما من عبد مؤمن يصيب خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة.

إب أن تتصور النار، على أنها مُنتهى ما ينزل بالشَّرير من عذاب نفسي أو مادي

وتصور الجنة على أنها قمة ما يسه الخير من مشوبة بفسية أو مادية، أو هُما معاً

وفي هذا الحديث نجد الرسول ﷺ قد ساق من أعمال الرحمة والخير عدداً غير قليل ولم يجعل قِمة الثواب وقفاً على من يفعلها جميعاً، بل واحدة منها تكفى

أحد، واحده لا غير - قادره على أن يأخذ بيد صاحبها إلى تلك القمة وهذا هو معنى العبارة الخلية التي جاءت في ختام الحدث

"ما من عبد مؤمن، يُصيب خصلة من هذه الخصال، إلا أخذت بيده، حتى تدخله الجنة."

ومش هذا، بأ الأعرابي لدى حاء يوم يسأله عملاً يقربه من الجنة ويبعده من النار فقال عليه السلام:

"تقول العدل، وتعطى الفضل.. قال: والله لا أستطيع أن أقول العدل كل ساعة، وما أستطيع أن أعطي الفضل

قال فتطعم، لطعام، وتُفسي السلام. قال: هذه أيضاً شديدة.. قال فهل لك ببل؟ قال: نعم. قال "الرسول": فاضطر إلى بيع من إبلك ومثاقم، ثم اعمد إلى أهل بيت لا يشربون الماء إلا عيباً - أي نادراً - فاسقهم، فأعطك لا يهلك بعرك، ولا ينخرق سقاؤك حتى تحب لك الجنة.."

إن الرحمة في أحف تكاليفها وفي أيسر صورها تكنس من طريق المجهول
كل الكوارث المحيطة، وتغسل عن الإنسان كل أوزاره، وتضع عنه كل أثمه
هكذا يعلمنا "محمد" ﷺ وهو يحصنا على لرحمة ويدعونا إليها
وإيه - عليه الصلاة والسلام - ليرسم هذا المعنى في لوحه فاتنة، ويوحه في
قصه قصيرة - تتجلى فيها مع صدق الرسول، عبقرية الفن
فلسمعه يقول

"تعبّد عابد من بني إسرائيل، فعبد الله في صومعة ستين عامًا.
وفي يوم، أمطرت الأرض، فاخصرت، فأشرف الراهب من
صومعته وقال لو برلت، فذكرت الله وازددت حياءً هزل ومعه
رغيف أو رغيفان. حينما هو في الأرض لقفته امرأة: فلم يزل يكلمها
وتكلمه حتى غشيها ثم أعمى عليه، فنزل المدير يستحم، فعاءه
سائل، فأوماً إليه أن يأخذ الرغيفين ثم مات فورئذ عبادة ستين سنة
بتلك الزنية فرجعت الزنية بحسباته، ثم وضع الرعيان مع حسباته،
فرجعت حسباته. هنظر له!

يا "محمد" من إنسان شغفته الرحمة حياءً، فأعلى مكانها على هذا السحر
للحلل !!!

إن هذه اللوحة العديدة شبيهة بأختها، التي صور "الرسول" ﷺ فيها مصير
لعمى التي صمرت من الله بالتوبة، والشكران، والحنّة، لمجرد كونها رحمت كل
ظمان، وهياب له الشراب...!

فهل ثمة فتور بالرحمة ويمد يد هذا الفتور وهذا الإيمان ؟
إن الله يزن رحمة أساس بعضهم بعضاً بالروح المتدى في الرحمة
وليس سبحانه

وكن صبيحة مهمما تكن يسيرة، تدفع عن صاحبها رباً كبيراً وكما قال الرسول ﷺ.

"صنائع المعروف، تقى مصارع السوء..."

وننظر الآن مشهد آخر يعرينا الرسول ﷺ فيه بالرحمة

أتى الله بعبد من عباده، كان قد آتاه مالا فقال له ماذا عملت في الدنيا؟ فقال: يا رب أتيتني مالا؛ فكنت أبايع الناس، وكان من خلقى الحواز أى التسامح. فكنت أيسر على الموسر. وأنظر المعسر فقال الله تعالى: أنا أحق بذلك منك.

"تجاوزوا عن عبدى.."

"يقول" الرسول ﷺ في حاتم الحديث وأدخله الله الجنة، ويكرر الرسول "السا نفسه في صورة أخرى فيقول:

"إن رجلاً لم يعمل خيراً قط، وكان يداين أساس، فيقول لرسوله: حذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز، لعل الله يتجاوز عنا فلما هلك، قال الله له هل عملت خيراً قط؟ قال: لا إلا أنه كان لي علام، وكنت أداين الناس، فإذا بعثته "يتقاضى"، قلت له: حذ ما تيسر، واترك ما عسر، تجاوز لعل الله يتجاوز عنا. قال الله له قد تجاوزت عنك..!!"

الم أقل لكم. إن هيام "محمد" بالرحمة لا يعدله هيام؟

ه هو ذا - عليه السلام - يتصور إنساناً لم يعمل خيراً قط في حياته إلا أنه كان يرحم المدين، فيصبر عليه ولا يتعجله لوفاء، ه هو ذا، يحمل مثوبه هذا الرجل المعفرة الشامة ويرحو له عند الله

الرحمة الواسعة

لقد ذكرنا من قبل أن "الرسول" ﷺ يركز على الرحمة تركيزاً شديداً، كلم
اشتدت الحاجة إليها

وعن الآن في مقدم، الحاجة به إلى الرحمة بالغة.

مقدم أولئك المساكين الذين تسوقهم ضرورات العيش إلى الدين، ثم
تعجزهم ضحالة الدخل عن السداد، فيعانون من أجل الديون هم الليل، ودل
النهار.

هؤلاء. يتقدم "محمد" البار لياسو جراحهم

إبه لا يملك أن يقول للدائن تنازل عن حقه، "فمحمد" عسه لسلام -
خير من يصور الحقوق

ونكه يملك أن يهب الدائن شعاعته، وقلبه، وحنه - إذا هو أرجأ عديبه،
وصبر عليه حتى يحين ساعة فرح قريب.

وفي هذا، قل ما تلونا من قبل، وقل كثيراً

"من يسر على معسر في الدنيا، يسر الله عليه في الدنيا،
والآخرة. والله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه، من
أنظر معسراً، أو وصع له - أي تنازل عن حقه من الدين - أظله الله يوم
القيامة تحت ظل عرشه، يوم لا ظل إلا ظله.."

"من أراد أن تستجاب دعوته، وأن تكشف كربته فليخرج عن
معسر."

"أيكم يسره أن يقيه الله عر وجل من فيح جهنم؟ قسا يا رسول
الله، كلنا يسره. قال: من أنظر معسراً أو وصع له وقاه الله عر وجل

من فيح جهنم.."

ويصف "الرسول" ،عظيم الرحمة وسعة تسموها فوق المضائل الإنسانية كلها - وتعمل كل عمل رحيم عبادة من أركى العبادات فعند "محمد" عليه السلام أن أعمالك الرحمة تنى سديها للآخرين إن يراها الله قربت توجه إليه داته هود ررت مريضاً، فأنت إن تزو الله ورد أطعمت حائفاً، فكأنت تطعم الله يقول الرسول ﷺ

"إن الله عر وجل يقول يوم القيامة يا بن آدم: مرضت فلم تعدنى. قال يا رب: كيف أعودك. وأنت رب العالمين؟؟ قال: أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟؟ يا بن آدم: استطعمتك؛ فلم تطعمنى. قال يا رب كيف أطعمك؛ وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟؟ يا بن آدم، استسقيتك، فلم تسقني قال يا رب: وكيف أسقيك. وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان؛ فلم تسقه. أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي.. (١) ."

والناس يحافون وحياتهم ملأى بالخوف التي لاتؤدن بانتهاء وأعظم رحمة تُسدى إليهم، تحريرهم من الخوف قدر المستطاع إن اخوف عول يلهم سكية الناس وأمسهم.

والمرع حين يجمع الأثمة، وتصير هواء - لا يبقى للناس ما يمسك عليهم

الإيمان بالحياة. وحين يفتقدون إيمانهم بالحياة يستسلمون للصمور، والفتور، واللامبالاة

وممّ يخاف الناس..؟؟

إيهم يخافون الله

ويخافون أنفسهم - أعني، يخاف بعضهم بعضاً..

* * *

أما اخوف من الله. فما كان "محمد" وهو يدعو إلى فصائل يشق على الأئمة فعند، أن يستعده من بين وسائل ترسته لا سيما في تلك الأزمان البعيدة التي كان اخوف فيها من أهم رسائل الرجز والتربية والتعويم ولكن "محمدًا" استطاع أن يقيم إلى جوار التحوييف من عذاب الله، الرجاء في رحمته

ولو أنا أخطأ نكن الأحاديث التي تـُحلاه الأمل العظيم في رحمة الله، لرأينا محاولة عظيمة وباححة لنسحة، الخوف وقهره

لقد أفاد الرسول عليه الصلاة والسلام في تصوير رحمة الله وفي الحديث على أن يكون الرجاء فيه والحب له، أساس كل علاقة بيننا وبينه سبحانه وتعالى وهي رأي أن "محمدًا" تركيزه على الرجاء في الله، إما كان يصطع منه بديلاً للخوف. بحيث يسلح الناس آخر الأمر مكانة النفسية والروحية التي يتفوقون فيها على الخوف الدنيوي، وتصلهم بالله عندها أوامر الحب، والرجاء، والإخلاص.

إن رحمة "محمد" تتجلى، وهو يقول لا تخافوا إن ربكم رؤوف رحيم وهي تشير به لرجاء، أعطان بكلماته الحلوة، الرطبة، لمصيته كل وسائل الإقناع والطمأنينة..

فهو يأمر بالرجاء تارة ويجعل الإسراف في الحروف من الله ثم تارة أخرى.. ويصرّب لنا الأمثال بعفوية إنسان عظيم
إن ملء الأرض آدمًا وحطايا؛ ليتبدّد مرقّد، ويذهب هباءً أمام دره واحدة من
رحمة الله

اقرأوا هذا الحديث:

"أذنب عند ذنب، فقال: اللهم اعفر لي ذنبي، فقال الله تبارك وتعالى: علم عبي أن له ربًا يغفر ذنبه؟ قد غفرت له ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب، اغفر لي ذنبي، فقال الله تبارك وتعالى: علم عبي أن له ربًا يغفر ذنبه؟ قد غفرت له. ثم عاد فأذنب فقال: أي رب، اغفر لي ذنبي، فقال الله تبارك وتعالى: علم عبي أن له ربًا يغفر ذنبه؟ قد غفرت لعبدي، فليفعل ما شاء."

إن الإنسان الذي صورّه "الرسول" ﷺ في هذا الحديث لم يكن في رَحْمَةِ المَكْرُورِ بلْخَطِيئَةِ سِوَى صُورَةٍ لَهَا حِمَاٌ صُورَةٌ لِنُصْعَفِ اسْتِشْرَى تُسَلِّمُنَا لِأَهْوَاءِ النَفْسِ

وإله يتفرّز من الخطأ

ويقول رب اعفر لي ثم يعود الهوى، ثم يعود للرشد، وهكذا - حياته رحلة دائية بين الخير والشر - ومع هد فإل محرد إحساسه بالخطأ، ومحرد إيمانه بأن الله سبحانه برحمته ومغفرته أحسن أن رجاءه في الله، أحفزه حسب سياق الحديث السوي برحمة الله الواسعة المتمثلة في هذه العارة

"قد غفرت لعبدي، فليفعل ما شاء"^(١)

وفى حديث آخر يصور لنا رحمة الله الواسعة فيقول

"جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الحلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه.."

كل ما في الأرض من رحمه يرى مطهرها، يست سوى جزء واحد من مائة جزء، فليستصور إحد الأجزاء التسعة والتسعين التي استأثر الله بها لنفسه كي يرحم بها الناس، يوم تشتد إلى رحمته حاجتهم؟؟

هذه صورة باهرة لرحمة الله تطرد عن الأثمة كل برع منه ويعبرها "الرسول" ﷺ بصورة أخرى حين رأى أمًا تصم طفلها إلى صدرها في حنان بالغ، فالتفت إلى أصحابه وقال هم

"أنرون هذه طارحة ولدها هي النار، قال أصحابه لا، والله يا رسول الله.. قال: لله أرحم بعبده المؤمن، من هذه بولدها."

ويقول عليه السلام

"إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل.."

ويقول أيضا

"يدتي المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يصبح عليه كفه، فيقرره

(١) وعارة "ليفعل ما شاء" ليست إدك بلفظه ولا إلعاء لمستزليه الإنسان، عها إنما هي صورة لفظية تتم بها الصورة التي يرسمها الرسول ﷺ لرحمة الله بعدد.

بذنوبه فيقول، أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: رب أعرف. فيقول الله له: فياى قد سترتها عليك في الدنيا، وإيا أعمرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته..

والآن، تنلح من قلب "محمد" الكبير الرحيم، لوحة تذهت في الإبداع، تصور رحمة الله في بهاء عظيم

إيا قصة موحدة يقرب فيها من الأدهن - على عادته - الخلاصة السهوية لرأيه الذكي في رحمة ربه الكبير.

اطروا

"كان فيمن قتل رجل تسعاً وتسعين نفساً. فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ قال الراهب: لا. فمات الرجل، ففعل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال له نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا، وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم.. ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء. فانطلق، حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب. قالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً، مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى..

وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط. فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم حكماً، فقال قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو لها. فأوحى الله إلى بلد المعصية أن تباعدى، وإلى بلد التوبة أن اقتربى.. فقاموا بين البلدين، فوجدوه إلى

بلد التوبة أقرب بشير، فغفر له..٩٩.

إن "الرسول" ﷺ لا يرصمى القتل، ولا يشجع عليه بل إنه لم يعرف جريمة تعدل الشرك بالله، سوى الإصرار بالنس محرد الإصرار بهم، فما نالت بقتلهم، وإزهاق حياتهم

وهو في الحديث السالف يصع رحمة الله تجاه أكبر الكاثر وأهدح الخرائم - ليرينا كيف أن التوبة الصادقة تحت جرائم كُثُرًا، وأقوات على صاحبها عمو الله عذفاً !!

ولقد احتار للقصة حتمًا باهرًا.

فجعل الرجل قريبًا إلى بلد العصاة، ليرى أن رحمة الله حين نجى، لا تقف في طريقها شيء حتى القواين، الطسعية والكويبة فلقد نقص الله الأرض من أحد أطرافها، حتى إذا فيست المسافة بين الرجل وبلد التوبة كان إليها أقرب فتأخذه ملائكة الرحمة..!!

أي من صادق عظيم، يستطيع أن يرسم لرحمة الله الواسعة لوحة أرهى وأجمع من هذه اللوحة العاتية للليلة..١٩٩.

إن التوبة باب مفتوح بين الله وبين عباده، بصلهم به باللس، وبالنهار. وإن الله ليفرح بتوبة الإنسان ورجوعه عن الخط، أشد من فرح أب حنون فقد ابنه في فلاة موحشة وصحاة بقاء أمامه سيئًا معافي!!

والطاعات تمثل عند "الرسول محمد" ﷺ معنى أسمى مما يحظر بلسا، فهي ليست مقصودة لذاتها، لا، ولا هي مقصودة لما تقصى إليه من ارتقاء نفسي فحسب بل هي قبل هذا وبعد هذا، السيل الذي يؤهلنا لمصافحة الله، والالتقاء به لقراء معنا هذا الحديث الذي ينمثلة "محمد" ﷺ حكية عن ربه

"يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة، فله عشر أمثالها، أو

أزید.. ومن جاء بالسيئة، فحزاء سيئة سيئة مثلها، أو أعقر.. ومن
تقرب منى شبراً تقربت منه ذراعاً ومن تقرب منى ذراعاً تقربت منه
باعاً ومن أتانى يمشى، أتيت هرولة.. ومن لقى يقرب لأرض
خطيئة لا يشرك بى شيئاً. لقيت بمثلها مقفرة.."

لسطر ملأ هذه الصورة الحاية المشتاقة لتي يتصور بها "محمد" حان الله
علينا وشوقه إلينا

إبه سبحانه يريدنا يريدنا بحسه على أية حال طائعين أو ائمين إن
ذراعيه مفتوحان لتلقبان همتنا ورحاء بحان مهبص
انظروا هذه الكلمات:

"من أتانى يمشى، أتيت هرولة. ۱۱۱"

أى تصور ذكى مشرق عزم الصفحات هذا الذى يتصور به "محمد" ربه
وبارته.. وربما وبرتنا. ۴۴

إن الله يريدنا أن بطيعه لأن الطاعة تجعلنا فى حالة فاضلة تؤهل للقاءه،
والتقى عنه.

إن الطاعات هى الخطوط التليغوية التى تصدنا بمركز وحدود، الله رب
العالمين. !!

وإذا أخطأت، قد أدبت. فلا يبغى أن تتحطم وتسحق تحت وطأة الشعور
بالإثم، بل علينا أن نهض من حديد. وألا نخاف الخطيئة أبداً لأن أكبر مهب،
ولأن عفو الله أكبر من ومنها جميعاً!!

هذا ما نفهمه عن "محمد" ﷺ وهو يسدى إلبا أفسح رحمة وحين يجرنا من
وطأة الشعور بالذنب

انظروا

"والذى نفسى بيده لو لم تذببوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون ويستعفرون؛ فيغفر لهم..."

هل كدر الرسول ﷺ بهذا بشع خطايا- ويُرْوَحُ ها...؟؟
كلا وإنما هو يدخلها أجمع علاج، حين يهبنا من الأمل فى رحمة الله، ما يتفوق به على الصعف أمامها.

هذه الصعف، لدى لا يؤلده شيء، مثل دوام احتررها، والإحساس الضاغط بها

إن حسن الظن بالله، هو ما يريده "محمد" ﷺ من الناس حتى يحبوا ربهم، وحتى يُسئثوا علاقتهم به سبحانه على أساس رضى مكبر من الأمل، والرحمة، والشوق

وهو هذا يوصيهم قائلا:

"لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن ظنر بالله عز وجل."

ويقول

"قال الله تعالى، أنا عبد ظن عبيدى بى وأنا معه إذا دعانى"

ويقول

"إن حسن الظن بالله تعالى من حسن العبادة"

ويكفح "الرسول الإلهى" جمع أولئك الذين يُقْطَرُونَ الناس من رحمة ربهم ويمقتهم مقتاً شديداً، ويضربهم مثلاً ويقول.

"كان ثمة أخوان: أحدهما يعبد الله، والآخر يعصيه ودات يوم

قال الذي يعبد للأخر: أما أن لك أن ترعوى؟ والله لتدخل النار، ولن ينضر الله لك.

ولما توهماها الله، وقفا بين يديه، فقال للمابد: من الذي أمرك أن تتألى على؟ أي تتحكم في رحمتي وتحلف على ما لا تملك؟ اذهبوا به إلى النار، وقال للأخر، ادخل الجنة برحمتي.

إن رحمة "محمد" ﷺ هباء، لتجاوز كل حدود الإطراء فهو من فرط رحمته بالناس، يصيب بها على المتحررين الذين يروحون لليأس، وهو يدرك إدراكاً سيديداً رشيداً أن الرحمة ليست ترفاً، إنما هي ضرورة وأحق الناس بها، أكثرهم حاجة إليها وفي هذا مقام، مقام الخطيئة، ولذلك يصير لعصاه أحوح العبد إلى رحمة الله، وإلى الأصل في الله ومن ثم فهو يرفض أي تقييد هم من رحمة ربهم؛ ويعتبر مثل هذا العمل دساً أكر من كل دس..

وهو يتحى كل قوى الشيطان وليأس عن علاقة لاس بالله، ويرسم صورة من أعذب وأمتع الصور التي تحكى بر الله بالناس، وأبوتة الحايه لهم جميعاً يقول عليه السلام

"ما من يوم تطلع شمسك إلا وتقول السماء: يا رب ائذن لي أن أسقط كسفاً على ابن آدم؛ فقد طعم خيرك، ومنع شكرك وتقول الأرض: يا رب ائذن لي أن أبتلع ابن آدم؛ فقد أكل خيرك، ومنع شكرك. وتقول البحار: يا رب ائذن لي أن أعرق ابن آدم؛ فقد أكل خيرك، ومنع شكرك. وتقول الحبال: يا رب ائذن لي أن أطبق على ابن آدم؛ فقد أكل خيرك، ومنع شكرك..

فيقول الله لهم جميعاً: لو خفتموه، لرحمتموه، دعووني، وعبادي..

إن تابوا إليّ فإنّ حبیبهم، وإن لم يتوبوا، هأنّ طیبهم. (١)

هذه اللوحة المبهجة التي يرسمها "محمد الإنسان" تناهت في الحلال والمغزى

فهو يفترض حاة يُحاطُ فيها الإنسان بالأخطار والعداوات من كل جانب.
من فوقه، ومن تحته، وعن يمينه، وعن شماله. ثم لا يجد إلا رحيمًا ودودًا واحدًا،
هو ربه ومولاه..

ثم هو يكشف في كلمات أخادة عن طبيعة برحة التي يُطلّل الله بها عباده
إنها رحمة الخالق بخلقه الذي يراه بحكمته، واصططعه لنفسه.
إنها رحمة الوالد بولده
نطروا هذه العبارة المشرقة

"لو خلقتهموه، لرحمتهموه"!!!

ب مكان الناس من الله، مكن لرائح العادي بين حبيب وطيب
هكذا رسم "محمد" ﷺ الصورة حين قال حاكياً عن الله عز وجل

"دعوني وعبادي. إن نابوا إلى فأنا حبيبهم.. وإن لم يتوبوا فأنا
طبيبهم."

وإذا كان الله في حال رحاه عنا، يكون الحبيب الذي لا منتهى لسمحات حبه
وفي حال أسفه من، يكون الطبيب الذي تأسو أجراخ لسات طيه
فكيف إذن يكون مصدر فزع أو خوف ؟؟؟
حاشاه.. ومسحاه.

وأكرم به من حبيب.

وأعم به من طبيب..

والرحمة عند "محمد" تعمل عملها في إحسان قويمه وتفتح القلب الكسير
 "لمحمد" كل الأسباب التي تجعل الرحمة حقيقة واقعة وصائبة يسعم بها كل
 إنسان..

وفي ضوء هذا الموقف، يسعى أن تُفهم جميع التوجيهات والوصايا التي
 يدعونا فيها "الرسول" ﷺ إلى الطاعة وإلى الخير، فهو لا يريد بوصاياه وتوجيهاته
 أن يتحكم فيها، أو أن يسوق.

وهي تمام رحمة بالإنسان أن يدفع عنهم لأخطاءهم، ويجنبهم مهبّ الريح الساردة
 للآفة

فإذا دعا إلى خير وحسن عليه، فبدافع من رحمة..

وإذا نهى عن شر، وحذّر منه، فساعت من رحمة.

والرحمة بالإنسانية، هي التي تشجع حرص محمد ﷺ على حيرى وعلى
 مصيرى وهي التي تجعله يأمر بالحسن، وينهى عن السوء.

ومن أجل هذا، كان يحاف على الناس من دنوبهم، وكان يرى تلك الدنوب
 كأنها أخطار داهية تهدد حياتهم وسلامتهم
 يقول عليه السلام

"إن المؤمن يرى دنوبه، وكأنه قاعد تحت جبل يحاف أن يقع
 عليه"

و "محمد" ﷺ على الرغم من أنه "رسول" مسئول عن رسالته، لا يقف من
 لعصاة موقف انتألى، والمسيطر، بل موقف السوء برحيم يعبر عليه
 عنتهم، الحريص كل الحرص على نجاتهم وسلامتهم
 وإنه ليحدد مكانته هذه، في كلمات جديّة فيقول

"مَتَلَى وَمَتَلَكُم، كَمَثَل رَحْلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجَدَابُ وَالْمَرَاثُ
يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذْبُحُهُنَّ عَنْهَا وَأَنَا آخِذٌ بِحُزْنِكُمْ عَنِ الدَّرِّ، وَأَنْتُمْ
تُفَلِتُونَ مِنْ يَدِي...!!!"

هذا هو موقف "محمد" تماما من الدين يقودهم الهوى إلى الخطأ سر
عليهم بمسيطر، ولا هو عليهم بجبار إنه إنسان يحسن تعف وإسانيته ورُشده
نجاههم، فهو يدفعهم عن الخطأ، كما يدفع المراهق عن النار فأنهح روحه،
وهو يقول "وَأَنْتُمْ تُفَلِتُونَ مِنْ يَدِي...!!!"

ويرد "الرسول" ﷺ لأمر كنه إلى رحمة الله، لا إلى ما لباس من أعمام مهمما
تكن صالحة ذلك أن أعمام الصالحات، مهما تكن كثرتها ووفرتها، لا تصي
شكر نعمة واحدة من أنعم الله الكرى
يقول عليه الصلاة والسلام

"فَارْبُوا وَسَدِّدُوا.. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ.
قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ
بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ.."

هذا هو "محمد" لا يأخذه الغرور بل يقدم من عبادة وطاعة، وبها لعبادة
تثقل بها الموازين لأنه يعلم أن سعة كلها من الله، وأنه إذا كان قد هدى إلى
الخير، فمصل من الله وحده وهذا يقتضى أن يعرف مكانه تهاب من الأحرار
لدين تُسَعِّمهم بصيهم من اهتدى فهو لا يبالى عليهم، ولا يستحلف بهم، بل
يدعو لهم ويشفق عليهم، ويصلى من أحلهم، ويتبع حب الخير الذى فهم مهم
يكن ضئلا، فشد به، ويتبع منه ثقتهم بأنفسهم -

انظروا

"جاء الرسول ﷺ ذات يوم برحل قد شرب خمراً.. فلما أبصره أصحابه قالوا، لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به شارباً.. فصاح الرسول ﷺ فيهم: لا تلعنوه، فإنه يحب لله ورسوله (١)..."

أي، إنسان مشرق كان "محمد" ﷺ ٩٩٩

إنه لا يهدم أقدار إنسان لما فيهم من ضعف، بل يصع عليه على الخير الذي فيهم، ويهتف به...!!

وهو هو ذا، على لرغم من أنه لرسول، وصاحب رسالة دينية، تحرم الخمر، وتراها إحدى الموبقات الكثر يكرم في إسار يشرب الخمر فصيلة قد اطوى عليها. تلك هي فصيلة الحب !

"لا تمنعوه، فإنه يحب الله ورسوله!" و "محمد" ﷺ إذن، وهو يركز على حب الخير وفعله وتخص الرديلة وتركها، إنما يفعل هذا - كما قلت - بدافع من رحمة بالمرء وبالجماعة

بالمرء حتى لا يفضى به لسوء الذي يقترفه إلى يؤس بنفسه يكدر صفو حياته.

وبالمجموع لأن المجتمع ما لم يرع لحقوق الشريعة، ويتوكل بالمصائل والخير، فإنه يصيب نفسه بشر ما يميزها
و "محمد" ﷺ يدرك هذا، ويضرب له مثلاً بليغاً:

"مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها فكان الدين في أسفلها. إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا.. فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونحوا جميعاً"

وهذا الإدراك الإنساني السديد، يُحدد لطريقة اتى يأخذ بها "محمد عليه
صلاة الله وسلامه" على أيدي العُصاة بها الرحمة أيضاً، والرحمة دائماً
ولطالما كان يحينه مُدسوس، يعترفون له، فيحسون هو أن يرددهم عن
اعترافاتهم، حتى لا يضطر إلى أن يُرل بهم ما شرع الله من عقاب، مُرحناً أمرهم
إلى رحمة الله الواسعة! أ

وبه يبأى عن الدين لا هم لهم إلا التوؤس بأخطاء الناس، واليأس من
صلاحهم

يقول عليه السلام في هذا المقام

"إذا سمعتم الرجل يقول: هلك الناس، فهو أهلكهم أي أشدهم
هلاكاً"

هنا إنسان بارٌّ . هنا أبٌ للإنسانية وملاذ
ها قلب كبير كبير جداً لا يعرف المسوة، ولا العرور، ولا لشهى، ولا
اليأس.

هنا "محمد" وكفى

بهذه الرحمة ورحه "محمد" حوف الناس من الله ذلك الخوف الذى
رَحِم قلوبهم ورؤاهم

وانتهى بهم إلى رب وعوف رحم ثقیل المعثرة، ونقص الثوب، ويعصر الدب،
ويصرح بعودة عباده إليه، فرح لوالد الخيون بعودة ابنه المفقود

بقى أن يرى كيف طرد "محمد" السوء الآخر من الخوف الخوف من
ناس.

ماذا يخاف الناس من الناس؟

إن الخوف هو فقدان الشعور بالأمن فكل ما من شأنه أن يُضعف هذا الشعور أو يُزيله، فهو عمل من أعمال الإحاف والإرهاب.

وراء كل الأعمال العدوانية التي تبعث على الخوف - يكمن دافع خبث، هو قسوة القلب

قسوة القلب، أو قسوة الصمير - هي التي تُمرز كافة الأعمال وانصرافات التي تسلم ضحاياه للأسى والخوف..

والقسوة، حتى حينما تتقصر عملاً مشروعاً، أو قصاصاً عادلاً، نجعل هذا العمل، وذاك القصاص أقرب ما يكون إلى الظلم

وما أحرَّ الحكمة إلى قائلها الرومن الأفدمون "العدل الصارم، ظلم صارم".

ولكى يعالج "محمد" عليه السلام دواعي الخوف - راح بدأ من أبعاد مقاطعها، ومصدر انطلاقها من قسوة النفس، ثم يتتبع الخوف في كل مظاهره، وكل دواعيه، حتى تهبط رحمة الكبيرة حياة بلا مخاوف

وقسوة عدو لدود للرحمة و"الرسول" ﷺ لهذا يوجهها موجهة فاصلة - من أبسط مظاهرها، حتى أكر هذه المظاهر خطرًا

تقول عائشة رضي الله عنها:

"قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ، فقالوا: أُنْقَبِلُونَ

صبيانكم؟ فقال نعم. قالوا: لكننا والله ما نُقْبَلُ ١

فقال رسول الله عليه السلام: أو أملك إن كان الله نزع من

قلوبكم الرحمة؟"

إن بقية الأوبة الحسة التي تعرب بها عن حب لأطفال، تمثل شيئاً حليلاً

عند "محمد" ﷺ إنها ليست عملاً من أعمال التسليه، أو اللهو إنها الرحمة تتحد مظهرًا مهمًا بيد عابر فإن وراءه ذلك الرصيد الصخم الذي يريده "محمد" لجميع الناس من الرحمة، والعطف، والحنان.

وهو لهذا يدمع الذين يصرفون عن هذا المظهر العابر للرحمة بقسوة الخشب، ويخبرهم أن الرحمة قد برعت من قلوبهم

وهي مستوى أعلى من مستوى لعلاقة بين الكار، وأطماعهم أعلى حينما تكون لعلاقة بين الناس بعضهم بعضًا، تتحول انقلبه إلى معاصر كثيرة مدسه في الكلمة الطيبة رحمة. والبطرة العاطفة رحمة. والهدية المتواضعة رحمة والصحيح الحميل رحمة. وعادة المريض رحمة بل وتشمت العاطس رحمة.

وكل هذه الأعمال التي تبدو بسيطة، يشكل "لرسول" ﷺ منها ومن ظواهرها - نهجًا لسلوك الاجتماعي لدى تنمو فيه رويط الوؤ، وخفى بالتالي أسباب التسلط، والقطيعة، والخوف.

أي أن "محمدًا" ﷺ يكافح دواعي خوف الناس من الناس، ويعاش دواعي ثقة والمودة بينهم، واتدع التي هي أحسن في كل ما يقال، وما يُصنع للإنسان للإنسان أخ

"لا بظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره.."

من التعبيرات اليسيرة التي تمكس المودة والعطف، ذات أثر كبير في إحياء الإحباء الإنساني، وهذا كان الرسول شديد الاهتمام بها، وكبير الاهتمام أيضًا بأن تصدر عن قلوب سليمة وعن نوايا طيبة صادقة.

يقول البراء من عارب رضى الله عنه

"أمرنا رسول الله ﷺ بسبع أمرنا بعبادة المريض، واتباع الحبارة، وتشميت لعاطس، وإبرار لمقسم، ونصرة المظلوم، وإجادة الداعي،

وإفشاء السلام



ولما كانت انفسه في كثير من أحوالها ثمرة العرور.. ولما كان العرور مستولا
عن كثير من الإهانات التي تلحق ببعض الناس، لا بدت جوهه.. ولكن بمجرد
أنهم في الكدر الاجتماعي يأخذون مكانهم في الصفوف الخلفية
ود كان وراء هذا العرور غائبا، انزهو بالمل، أو الحياء، أو بالمنصب فقد
ذهب "محمد" يسوى بكل هذه المظاهر التراب؛ حتى يرفعوى كل مغرور صلف،
وحتى يطمش الصعفاء وساس العاديون
ويصرب "محمد" ﷺ الأمثلة لقوم يتفكرون، فيقول

"احتجبت الجنة والنار، فقالت النار: في الجبارون والمتكبرون
وقالت الحنة: في ضعفاء الناس ومساكينهم فقضى الله بينهما"
"قال للحنه: أنت رحمتي، أرحم بك من أشاء."
"وقل للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشاء."

من هذا المثل البليغ نستطيع أن ندرك الطريقة التي يهدم بها "محمد" ﷺ
كل عوامل التمزق النفسي بين الناس
فالجبارون والمتكبرون ليسوا في مكان يُعْبَطُونَ عليه، أو يؤهدهم بالتعطرس
على عباد الله بهم في دار الرذيلة التي تسربوا بها، وحرمتهم حب الناس
وصنوات قلوبهم - رذيلة لكبر، والتجبر، والحدود.
وهؤلاء الذين يدون ضعفاء مساكين، لأنهم نَصَوْا عن أنفسهم كل مطامر
الخبلاء، والترف، والتحر

هؤلاء هم الذين ظفروا بحبات الحب، والطمأنينة، والسلام ويستمر
"الرسول" ﷺ في نهضة ضراوة المتجربين، فيقول

"إن الرجل العظيم السمين، ليأتي يوم لقيامة"

"لا يزن عند الله جناح بعوضة..."

والعظيم لسمين هنا، كناية عن المتعظم بحجته، استلح شرائه ونقرأ مع هذا، لباً.

"مر رجل على النبي ﷺ فقال لرجل صده جالس. ما رأيك في هذا؟ فأجاب، إنه من أشرف الناس وإنه والله لحرى إن خطب أن يُنكح. وإن شفع أن يشفع. وإن قال أن يسمع لقوله فسكت رسول الله ﷺ. ثم مرّ رجل، فقال له "الرسول": ما رأيك في هذا؟ فقال، يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين، حرى إن خطب ألا يُنكح، وإن شفع ألا يشفع، وإن قال ألا يُسمع لقوله.. فقال رسول الله عليه السلام: هذا خير من ملء الأرض من مثل ذلك..."

لقد أراد "الرسول" ﷺ على حسب هذا السأ المروى أن يرفع في وجه عرور الجاهل.. شرف التواضع.

والرسول لم يسد الرحى الأول بمجرد كونه من أشرف الناس بل لا بد أنه كان من المعرورين بمكانتهم الاجتماعية. ولقد جعل خير منهم، الناس العديين الذين يعملون في صمت، ويحيون في تواضع وصلاح والإساءات قلما تقع بين الناس متاعدين لأنها نتيجة الخلطة الدائبة، والاحسب أنك الاجتماعي فانت لا تحلف مع رجل لا تعرفه إما يكون لخلاف - حين يكون - ييك وبين صديق أو قريب..

لهذا يوصي "الرسول" ﷺ بالجار، ويشدّد في الرّصة

ذلك لأن الجيران تجمعهم خلطة دائمة وهذه الخلطة تجعل أحماض الخلاف والسرع بينهم كثيراً فيطعمي القوى على لصعيف، ويتفطع بينهم ما أمر الله به أن

يُوصَل

وهت يركر "محمد" هي دكاء عظيم على حق الحوار

"ما زال جبريل يوصيني بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه.."

"والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قبل مَنْ هو يا

رسول الله؟ قال. الذي لا يأمنُ جاره بوائقه.."

هذا هو ما يريد "محمد" الإنسان الرحيم . ألا يحف حار "صعيف" جاره

انقوى

وهو لهذا، يفي الإيمان نفيًا أكيدًا، عن كل حار يحافه حاره ولا يأمن عوائقه

وشروره

بالبقطة هذا النبي، وبالرحمة الحانية..!!

إنه يعلم حاجة لس إلى الأمر في حوارهم فالجار مطلع على أسرار

جاره، قادر على وضع الأذى في طريقه.

وهو يتقدم "محمد" ﷺ رافعًا لحقوق الحوار لواء لا يسغى لأحد أن يتحدّاه،

فإن فعل، فقد خلع ربة الإيمان

"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره"

"خير لأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الحيران عند

الله، خيرهم لجاره.."

ولقد قيل له عليه السلام يوم

"يا رسول الله إن فلانة تكثر من صلاتها، وصدقتها، وصيامها

. غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، فقال. هي في النار."

وإنه عليه السلام، يشير في رحة دافئة إلى أهم حقوق الجار فيقول

"إذا استعان بك أعنته"

"وإذا ستقرصك أقرضته.."

"وإذا فتقر عُدت عليه.."

"وإذا أصابه حير هأنأته.."

"وإذا أصابته مصيبة عزيتة.."

"وإذا مات اتبعت جنازته.."

"ولا تستطل عليه بالبنيان، فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ولا تؤذه

بقنار ريح قدرك إلا أن تعرف له منها.. وإن اشتريب فأكهة هاهد له،

فإن لم تفعل فأدخلها سراً، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده !!"

آية إسايه شحنت بها هذه الكلمات ؟؟

وأي قلب كبير هذا الذي وهبه الله "محمداً" ﷺ !!؟

وما ينطليه الحوار من رعايه، تتطلب مثله القرابة، في لوقت داته، وليس

نفسه

وهو يوصي "الرسول" بالرحم

"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلْيَصِلْ رَحْمَهُ، ويضرب عليه

السلام مثلاً رائعاً لأهمية الرحم وجلالها فيقول:

"إن الله تعالى خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم

فقلت، هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال الله، نعم أما ترصين أن

أصلي من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت، بلى قال: فذلك لك."

واليتم، ولأرملة، والمسكين.. أكثر أساس خوفاً من انصبر، وأكثرهم حاجة

إلى الخنان، والأمن، والرحمة

وهي تقدم "محمد" ﷺ فيسط عليهم جناحه:

"أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين - مشيراً بأصبعه السبابة والوسطى.."

"إن أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مُكْرَمٌ"

"والذي بعثني بالحق، لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم،
والآن له في الكلام، ورحم يُتَمِّه وضمه.."

"الساعي على الأرملة، والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله،
وكالذي يقوم الليل، ويصوم النهار.."

* * *

إن "محمدًا" ﷺ يتعقب قسوة القلب في كل مجالاتها، لأنه يدرك مسئوليتها
عن الخرف الذي يسلطه بعض الناس على بعض، وعن السوء الذي يلحقه بعض
الناس ببعض

وهو إذ يوصي بالرحم حياً، ولأنه يعلم ما يلحقه أهجر، والقطيعة بها من
فزع وأسى ولهذا صورها لنا وَحِيلَ مُصْرَعَةً، اخذه بعرش الله تقول في صراعة
"هذا مقام العائد بك من القطيعة"

و "محمد" حريص على أن يحرر الأحياء من محارفهم، ويُنقِهم دواعي
الخرف في كل مطاها

وإنه لينعقب تلك المظان واحدة تلو الأخرى، على النسق الذي رأينا
وبعدرة واحدة - فمحمد ﷺ الذي أمدت عنه رحمته الوافية تحرير الناس من
الخرف يطمح وحدة وسعة نطاق صدق شرور الصارفة في الحمة الإنسانية
فتلك الشرور هي ما يحرف الناس وإنه لن يعادر منها صغيرة ولا كبيرة إلا
يدحصها، ويحدر منها، ويطاردها

طاردا لقسرة طاردا القطيعة طاردا لصلف والعروور كما رأيت في
أحاديثه السالمة

ثم هو يطارد العضب قتلا

"شركم سريع الغضب، بطيء الفء وخيركم بطيء الغضب،
سريع الفء"

وحين يسأل أحد أصحابه عن العمل الذي يدخله الجنة، يجيبه

"لا تعضب، ولك الجنة.."

ويقول

"ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد من يملك نفسه
عند الغضب.."

"ألا أحبركم بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل حين
ثين، سهل."

ويرسم مشهداً من أشهد المائدة التي تهر الأنصار بحماها وتُرى لأرواح
بدالاتها فيقول.

"إذا جمع الله الخلائق، نادى مناد: أين أهل الفضل؟، فيقوم ناس
وهم يسير، فيطلمسون سراعاً إلى الجنة، فتلقاهم
الملائكة، فيقولون: إننا نراكم سراعاً إلى الجنة، فمن أنتم؟
فيقولون: نحن أهل الفضل. فيقولون وما فضلكم، فيقولون: كنا
إذا طُلِّمنا صبرنا، وإذا أسيء إلينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة
فتم أجر العاملين."

ويطارد الحسد والبغضاء فيقول:

"لا تحاسدوا ولا تدابروا، ولا تبغضوا، وكونوا عباد الله إخواناً"

ويطرد الفصول في شئى صوره:

"من اطلع من بيت قوم بغير إذنهم، فقد حل لهم أن يفقتوا عينه"
 "من استمع إلى حديث قوم، وهم له كارهون
 صب في أذنه الآنك - أى الرصاص المذاب - يوم القيامة"
 ويهى عن السباب واشتم.

"المُسْتَبَان شيطانان، يتهاثران ويتكادبان."
 "إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه..
 قيل يا رسول الله، كيف يلعن الرجل والديه؟..
 قال: يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ..
 وتروى عائشة رضى الله عنها هذا انبأ الخزل فتقول:

"مرّ النبي ﷺ بأبى بكر، وهو يلعن بعض خدمه. فالتفت النبي إليه، وقال لعائش، وصديقي؟! كلا ورب لكعبة. فسرح أبو بكر خدمه تكفيراً عن شتمه لهم، وجاء إلى النبي عليه السلام وقال: لا أعود."

ويهى "ارسول" ﷺ عن ترويع الإنسان أحده ولو بأتمه مطهر ترويع انظروا

"لا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَحِيهِ بِالسَّالِحِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي نَعْلُ أَشْطَرِ
 يَنْزِعُ فِي يَدِهِ - أى يرمى - فيقع في حفرة من السار"
 وأتلو هذا الحديث أيضاً

"من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلمعه حتى يتهى وإن كان أخاه لأبيه، وأمه.."

وطارد السميمة، والعينة، والهنان.

"شرار عباد الله، المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الملتمسون للسرء الميب.."

"الغيبة والنميمة يحنان الإيمان، كما يعضد الراعى الشجرة.."

ويسأل أصحابه يوماً

"أتدرون من المفلس؟ قالوا، المفلس هيتا من لا درهم له ولا متاع فقال عليه الصلاة والسلام: المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا . فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن هتت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أجد من خطاياهم فطرحه عليه.."

إن "محمدًا" ﷺ يحمى أعراض الناس، ويدفع عنها كل لسان ثرثر روى حطبة الوداع، يجلجل "محمد" بين الملائكة قائلاً

"إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، هي شهركم هذا، هي بلدكم هذا.. ألا هل بلغت...؟؟؟.."

"من رد عن عرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة.."

آية راحة وراحة كراحة هذا "الرسول" الإنسان العظيم، الذى لم يترك شيئاً م

يمكن أن يكون مصدر ألم للإنسان إلا دهمه، وبهى عنه
هذا الذى يحمل لسيرة الإنسان من القداسة والحرمة مثل ما لبيت الله الحرام،
الذى هو عند "محمد"، وفى رسالته، قمة القداسة، والتوقير^{١١}
يسأل أصحابه يوماً ليعلمهم

"أتدرون ما الغيبة؟" قالوا: الله، ورسوله أعلم.. قال: ذكرك
أخاك بما يكره. قيل:.. أ رأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال عليه
الصلاة والسلام: إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته. وإن لم يكن
فيه ما تقول، فقد بهته".

ترى، هل وقفت رحمة "محمد" عند الإنسان وحده ؟؟ كلا ولقد سعت
إلى كل كائن حى، لتدفع عنه العوائق والشوور.
فهذه الكائنات المهيضة من حيران، وطير، بن حشرة ينض انقلب الكبير
بحقها فى الرحمة وحققها فى الرقى، وحققها فى اللاد.
فاخبروا حدير بالرحمة بل لعله أحق بها؛ وأكثر حنياء إليها. هذا الذى
لا يملك أن يشكو، ويتراجع، ويقول رحماك.
يقول عليه السلام

"عنيت امرأة فى هرة حسنتها حتى ماتت، لا هى أطعمتها
وسقنتها. ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض."^{١٢}

ومن فرط إحساسه عليه اسلام بحاجة لحيوان إلى الرحمة، كان كأنه يستمع
إلى شكاية الحيران المعنى، وكأنما هو بدء النجدة لكل طالب رحمة، حتى لو يكون
حيواناً.

يقول عبد الله بن جعفر:

"دخل رسول الله ﷺ مستائاً لرجل من الأنصار، فإذا فيه جمل:
فما إن رأى النبي حتى حنّ وذرفت عيناه؛ فأتاه رسول الله ﷺ فمسح
ذفره فمسكن. وقال "الرسول": مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟ فقال فتى من
الأنصار: هو لي يا رسول الله. فقال الرسول عليه السلام: ألا تتقى
الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؛ فإنه شكا إلى ابن
تجيحه وتذثبه..!!"

وحتى إساءة الحيوان، أو الخشراب، ينبغي أن تقبل بالرحمة وتعالج بالرفق
ويضرب "محمد" ﷺ لهذا مثلاً جميلاً فيقول

"قرصت نملة نبياً من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى
الله تعالى إليه. أن قرصتك نملة.. أحرقت أمة من الأمم تُصبح. ١١٩٩"
انظروا كيف تتألق إسمانية "محمد" وتسمو، فيسمى جماعة النمل "أمة"
وأمة تهدبها غريبتها إلى أن لها داراً حلاًفاً، فهي تسبح بحمده ١٢!
ولدى يؤ حده الله في هذه القصة على تحييه عن الرحمة تحياه حصة من
النمل، ليس فرداً عادياً.. بل هو نبي من الأنبياء.
إن الصورة على بساطتها تتضمن أروع نماذج الرحمة على الإطلاق وتكشف
عن نفسية "محمد" العذبة، كما لا يكشف شيء مثلاًها
حفنة من النمل. لا يدرك الناس ها، ولا لآلاف مثلاًها قدراً - أي قدر
ترتفع في عين "محمد" إلى الحد الذي يتصور له عده قدسه وحرمته
وتقدس حقوقها إلى الحد الذي يؤ حد عده نبي من الأنبياء، لأنه عندي
عليها ونجى ١١

بل إنه حين يأمر بقتل حشره سامية بغير من أساس بلدها يجعل المهارة في
قتلها مرادفة للرحمة بها، ويرجو الثواب من ربه لمن يجهر عليها في غير إبلام لها

انظروا:

"من قتل وزعة في أول صرية، كتبت له مائة حسنة، وفي الثانية دون ذلك، وفي الثالثة دون ذلك."

إن الورعة حشرة سامة كالأفعى والخلاص من شرها ضروري ولكن حتى هنا لا ينسى "محمد" فينشئ من مشوة الله سبحانه حائرة لمن يحجر على تلك الحشرات القاتلة، دون أن يسبب لها ألم - أي ألم!!
أجل - جانره لمن يصيب الهدف دون أن يبعث منه أنيس!!
ذلك أن الرفق عند "محمد" هو جوهر الحياة وريثتها.
يقول عليه السلام.

"إن الرفق ما كان في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه."

هذه ومضات من رحمة "محمد" ﷺ..

ورحمته بالناس

ورحمته بالأحياء جميعًا.

رحمة لإسان انذى أرسله الله رحمة للعالمين.



■ الفصل الثاني ■

.. والعمل شريعته

فَمَنْ يَعْمَلْ، إِنَّهُ لَمْ أَعْمَلْ



دت يوم تقدم منه أعرابي في عنطة، وسأله مريداً من العطاء، وقال
اعدل يا محمد .

والطمأنينة التي دفعت لأعرابي في هذا الموقف المسرف في الجراءة هذه
الطمأنينة وحدها، تصور عدل "محمد" أصدق تصوير
فما كان الأعرابي قادراً على أن يقول مقالته تلك، لو كان "محمد" قد أقام
بينه وبين الناس سوراً من انتعاضهم، والكبرياء، وبث في نفوسهم الخشية منه
والرهوت.!!

لكن "محمدًا" ﷺ، حطم كل معالم التمايز بينه وبين الناس
وحين دخل عليه رجل غريب، يختلج، بل يرتجف من هيئته، استدناه،
ورب على كفه في حبال، وفرط تواضع، وقد له عبارته المشهورة
"هَوْنٌ عليك هَإِنْ أُمِّي كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ بِمَكَّةَ"

أجل - من هنا يبدأ مهم الصحيح لعدل "محمد" ﷺ
من هـ.. من إلغائه كل مظاهر التمايز بينه وبين الناس .
والرسول الذي صظمه الله واحتاره رلدى هياه تفوقه الأخلاقى والعقلى
والروحى لأن يكون استاد أمة ورائدها.. وهياه صظمه الله له لأن يكون الإمام
الذى يُحس، ويُطع "محمد" ومع كل هذه المميزات، يرفض كل مميزات، ويحى
كل تمايز، ولا يعتا تلو على الناس هذه الآلة الكريمة

﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْظُورٌ ﴾ . !

إنه يعلم أن التمايز أشد مظاهر الظلم وقاحة فالذي يزعم لنفسه مكاناً خاصاً فوق الناس، بما يتحل ما ليس له بحق، وإذ يتعدهم لشهوة الصلف، والغرور الكذب ثم هو قبل هذا، وبعد هذا يصح نفسه حيث تفسد نفسه، وحيث يعود هواه إلى ارتكاب كل الآثام المأخوذة التي هي حرر حتمي لإحسانه الخاطيء بالتمييز، والاستعلاء، وبالحيمنة

و"محمد" الإنسان يعلم هذا، وليس في طبعه إلا هيام الشديد بالعدل، والإيمان به كفضيلة، وكضرورة

من أجل هذا ظهر نفسه تطهيراً من كل شعور بالتعالي وتنازل في سن عظيم عن كل امتيازات تفوقه العظيم

في سلوكه، كرَسُولٍ وقائد، ينبذ التمايز ويرفضه

يأبى أصحابه فيل عروه أحد يقولون له إن عدو في طريقه إيت يريد أن يقصى عبداً

فيقول لهم: إني أرى ألا نخرج لقتال..

يقولون: ونحن نرى أن نخرج ونقاتل..

فستمهدهم نصح دقائق يعيب عنهم فيها، ثم يعود إليهم، وقد ارتدى لباس

المعركة احتراماً لمشيئتهم واحتراماً لحقهم

ويسأله يوماً أعرابي في بداوة حافة

يا "محمد" هل هذا المال مال الله، أم مال أبيك...؟

ويشتره عمر بن الخطاب بسبعة بريد أن يحفر عليه، فردده "الرسول" ﷺ

فأبى

"دعه يا عمر.. إن لصاحب الحق مقالا" ١١

وفي سنوكة كصديق يرفض التمايز أيضاً.. وفي بعض أسفاره يتهاى أصحابه لإعداد الطعام. ويتقاسمون العمل فيما بينهم، فيقول "محمد" عليه صلاة الله وسلامه.

"وعلى جمع الحطب.."

"يقولون: يا رسول الله، إنا نكفيك هذا.."

"فيحييهم: قد علمت أنكم تكفونني إياه ولكني أكره

أن أنمى عليكم.."

لقد جعل نفسه واحداً من الناس.

وإذن فالقانون الذي يحكم الناس يحكمه. والواحيات التي يُطلب إلى

ناس لقيام بها، عليه أن يقوم مشهم به، بل أكثر مما يقوم بها لأحرار؛ لأنه في مكان التأسى، والقدوة لا في مكان التدلل والحظوة

ويعود إلى النأ الأول الذي استهلنا به هذا الفصل من الكتاب، بأ لأعرابي

الذي قل له اعدل يا محمد.

قد اتسم الرسول عليه لصلاة والسلام ابتسامة التهمل، ولم يرد على أن

قال للرجل:

"ويحك.. فمن يعدل إن لم أعدل.. ١٩٩"

و "محمد" ﷺ حين يقول هذا، لا يقوله متهايياً، ولا مختالاً بل مُدكراً لناس

بحقهم في أن يتوقعوا منه أقصى فرائض العدالة وفي أن يحسوه عنيها إذ عنهم ما يقتضى الحساب.

فإذا لم يقم "محمد" بانعدله كاملة، فمن إذن يهوم؟

إن واجبه أن يفعل

وقبل انواجب، هناك طبيعته الخيرة النقية، تجري المصائص الكرى حلاها،
كما يجري الدم النقي في العروق الطيبة..

فإذا لم يعدل "محمد" ﷺ - كل العدل - فقد أخلّ بوجهه .

وإذا لم يعدل - كل العدل - فقد حامي طبيعته

و "محمد" ﷺ ليس الإنسان الذي يفرض في تبعاته

و "محمد" ﷺ ليس الإنسان الذي يجافي فطرته، ويلوى طبيعته

هذا هو معنى قوله عليه الصلاة وأبهى السلام

"فمن يعدل، إن لم أعدل.."

و "محمد" ﷺ حين تحلى عن تمايز م يفعل ذلك إشباعاً لفصيلة التوضع

ولو أنه فعل ذلك من أجل ذلك، لكان عملاً حميداً وجليلاً

ولكن "محمدًا" ﷺ إنسان تحركه براعة أخرى تسببت في لسمو والحلال

فهو يرفض التمايز تحقيقاً للعدل.

وهو يعدل، لأن سلوكه معادل، تحقيقاً لداته، وفطرته

وداته وفطرته، لا تتكلمن المساواة وطب التكاثر

بل هما مترعتن بمشعر هذه المساواة وحقيقتي

ومن هنا فمحمد ﷺ لا يرى نفسه واحداً من الناس - توصفاً - بل هو واحد

من الناس - حقيقة - يجري عليه ما يجري عليهم

وإد كان الله يعاقب الناس إذا ظلموا

فمحمد سيزل به العقاب إذا ظلم، بالله، ما أروع هذا !!

انظرو

"ذات يوم يرسل خادمًا في حاجة قريبة، فيعيب نصف اليوم أو

قراءة ذلك..

"ياخذ الرسول ﷺ، ما يأخذ كرام البشر من الغيظ، يحكهم ويظن من يراه أنه سيرى بالغلّام حين يعود عفاناً أليماً".
 "وحيث يعود الغلام، يلوح الرسول" في وجهه بالسواك وهو يقول:
 "لولا خوف القصاص من الله لأوجعتك ضرباً بهذا السواك".

أرايتم...؟

إن "السواك" عود صغير في حجم فرشاة الأسنان ويؤدي وظيفتها، ولو صرب به، رصيع مائة ضربة ما أله ولا أوجعه، فصلا عن فتى كبير ومع هذا، فالرسول يكظم عيظه، ويرفض أن يصرب، لعل هذا السواك لماذا ؟

خوفاً من قصاص الله.

ألم أبل لكم، إن استمساك "محمد" ﷺ، بالعدل، لم يكن تاهباً بالتواضع ولا ستمتاعاً بلذة العدل، وإنما توفيراً للعدالة نفسها، وإدراكاً لحقيقة وضعه بين الناس كواحد منهم واحد مثلهم، عيه أن يعدن كما أن علي الناس أن يعدلوا، لأن العدل ميراث الحياة، وأي انحراف بهذا الميراث يُلحق بالحياة كلها أذى، وربما

بل عليه أن يستوصى بالعدل أكثر مما يستوصى الناس؛ لأنه هذا خلقه وهذا بُعث.

ويتصور "محمد" العدل، تصوراً فذاً، ويربّه أعلى مكان حين لا يجعله نصيلة من فضائل بشر وحدهم، بل قبل هذا خُلِق من أحلاق الله سبحانه، وبهجتاً ألهمه الله نفسه

"يقول الله تعالى في حديث قدسي

"يا عبادي: نبي حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا..."

وحيث يتصور "محمد" ﷺ أن ربه يفعل لما يشاء قد حرم الظلم على نفسه فإنه لا بد منظر إلى لظلم كحطيئة لا تعادى حطيئة أخرى بين كل خطايا البشر ومن ثم ذهب في التحذير من مذهباً بليغاً، فيقول

"اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة"
 "اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب"
 "دعوة المظلوم يرفعها الله فوق العمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتي لأنصرك ولو بعد حين"
 "اتقوا دعوة المظلوم فإنه تصعد إلى السماء كأنها شرارة"

والظلم عند "محمد" ﷺ يأكل فضائل الظالم، ويرعى حساته كما تُرعى سائر
 هشيم

وما كان يوم القيامة هو مطهر الحراء والقصاص، فقد باط به "الرسول" ﷺ
 مصير الظالم

وحيث من عندنا نقول إن لكل إنسان قيامه ويرى قانون القصاص لقائم
 وبإد، ويوم القصاص منك "نمثل يوم قامت فلا نقول ظلم ههنا يوم
 القيامة؛ فإننا من قريب جداً قريب

يقول محمد عليه السلام محذراً الظالم من يوم القصاص

"اتقوا الظلم ما استطعتم، فإن العبد يجرى بالحسنة يوم
 القيامة يرى أنها ستجنيه، فما يزال عبد يقول يا رب ظلمي عندك
 مظلمة فيقول الله: أمحوا من حسناته وما يزال كذلك حتى ما

يبقى له حسنة .

وقصاص الظلم محتوم ومباغت.

"إن الله ليملي للظالم ، فإذا أخذه لم يُفلت ."

* * *

ذات يوم صعد "الرسول" ﷺ المنبر ، وراح يحطب للناس قتيلاً لهم .

"من كنت أخذت له مالاً ، فهذا مالي ، فليأخذ منه ، ومن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري ، فليقتد منه "

إن الإنسان لعظيم يعلم أنه م يأخذ مال أحد ، لا ولا أحد طهر أحد ولكنه لتحري المطلق للعدو ، ولرهبة البالغة من انظلم وهو لهذا يوصي الناس فيقول :

"من كان عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شيء ، فليتحلله منه اليوم من قبل ألا يكون دينار ولا درهم . إن لم تكن له حسنة ، أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه ."

ولا شيء يكشف عن إيمان "محمد" بالعدل ، ومقاومته الظلم مثل حديثه الماضي الذي يقول

"أنصر أحاك ، ظالماً أو مظلوماً ، قال رجل : يا رسول الله ، أفرأيت إن كان ظالماً ، كيف أنصره ؟ قال : تمتعه عن ظلمه ، فإن ذلك نصره ."

لقد بلغ من بشاعة الظلم عند "محمد" أن لضالم نفسه ، يكون صحية ظلمه ، به قد أنزل الظلم بنفسه ، في دلت الوقت لدى أنزل الظلم بغيره ، وهو هذا ، مظلوم في صورة ظالم "نعمس" في ثياب جتار !

ومقاومته، ومعه عن الظلم، فوز له وانتصار، أكثر مما هي رجز وعقاب
تم انطرو، بهاء الإنسانية وأنفها في صمير "محمد" ﷺ وهو يقول "انصر
أحاك ظالمًا.

لو قال "قاوم أحاك ظالمًا، وانصره مظلومًا" لكن لقول عبي حسب
تمكيننا أقرب إلى السداد

ولكن لسدد في كلمات "محمد" ﷺ من طرر، آخر، يعرف هو أكثر من
غيره كيف يُصمّنه كلماته الناصعة البهاء

فدافعة، الظلم، حتى حين تتخذ هذه الدافعة شكلًا جمعيًا أو ثوريًا - ليست
عملاً من أعمال التقويض، بل هي من أعمال البقاء والانتصار للحياة

ولسا يعرف رذيلة رفع "محمد" مقاومتها إلى هذه المكينة، مثل رذيلة الظلم
إبه أعطى مقاومة لظلم إيجابية غامرة، وكما هو بهاء باصرًا، حين جاور به
مستواه وجعلها ظفرًا وانتصارًا !!

واظلم تتفاوت أخطاره، تتفاوت مصدرة
وشرُّ مصدر الظلم جبار متسلط، وحاكم باغ..
وهنا يواجه "محمد" ﷺ الظلم في عربه الخطير .
وسيله هذا، ليس سندر عطف، وحاكم الظالم بل حيث المظلوم عسى
المقاومة وحث الناس جميعًا على دحض ظلم ومكافحته
هذا يقول "محمد" ﷺ

"إذا رأيتم الظالم، ولم تأخذوا على يديه، يوشك أن يعمكم الله
بعذاب."

ويقول

"إذا عجزت أمتي عن أن تقول للظالم، يا ظالم، فقد تُودَّع منها."

ويسأله أحد أصحابه يوماً عن أفضل الجهاد، فيجيبه عليه السلام

"كلمة حق عند سلطان حائر."

ويظم رسول عليه السلام مقاطعة الحاكم الحائر، كوسيلة ناجحة لمقاومة ظلمه وجوره، فيقول:

"سيكون بعدى أمراء يظلمون ويكذبون. فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس مني، ولا أنا منه. ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يمالئهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه"

ويريد "الرسول" ﷺ هذا المعنى تيناً وإيصاحاً فيقول

"يكون أمراء تعشاهم عواشي أو حواشي من الناس. يكذبون ويظلمون، فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس مني ولست منه. ومن لم يدخل عليهم، ولم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه."

فهذا يشير "لرسول" ﷺ إلى حاشية لظام بقوله "تعشاهم عواشي، أو حواشي من الناس يكذبون ويظلمون"

وهو عليه السلام يدعو إلى مقاطعة الظالم وحاشته، حتى يمتاروا بظلمهم فيقول: "من دخل عليهم فليس مني ولا أنا منه".

انظروا عبارة "من دخل عليهم"

إن محمداً ﷺ يريد أن يعرهم عن المجتمع، حتى يحسوا بالسذ وبالهوان، ويرجعوا عن ظلمهم أو يبرءوا بأنام بغيهم..



و "محمد" وهو يُلم بالحاشية في مقام الحديث عن الحاكم الظالم، يعنى بالكشف عن الدور الخطير الذى تلعبه الحاشية فى دعم الظلم، أو دعم العدل فى إصلاح الحاكم أو إفساده.
فيقول عليه لسلام

"ما من وال إلا وله طائنتان طائنة تأمره بالمعروف وتتهام عن المنكر. ويطائنة لا تألوه حبالاً . أى لا تدخر جهداً فى إفساده . فمن وقى شرّها ، فقد وقى.."
ويقول أيضاً:

"إذا أراد الله بالأمير خيراً ، جعل له وزير صدق إن نسى ذكره .
وإن ذكر أعانه . وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء . إن نسى لم يذكره . وإن ذكر لم يسه ؟



والظلم يتخذ أشكالا شتى ..
فهناك ظلم بالفعل وهناك ظلم بالمول وهناك ظلم بالشعور
قد ن ظلم الأحرار بأفعال تأتينا ..
وقد ن ظلمهم بكلمات تقوها .
وقد ن ظلمهم بمجرد مشاعر كريهة تطوى عليها نفسك
و "محمد" عليه الصلاة والسلام ، يحيط بهذه الأشكال جميعاً بى ذكاء عظيم ،
وفى ولاء للعدل أعظم .
فلننظر الآن كيف يكافح الظلم كله
الظلم الذى يتمش فى حركة

والعظيم الذي يتمثل في كلمة
والعظيم الذي يتمثل في حلجة نفس

* * *

أما لعظم بالعص، فيسظم كل عدوان على الناس في أنفسهم وفي
أعراضهم.. وفي أموالهم وكل حقوقهم
أما الأتس، فيحرم كل عدو ر عليها من سعت الدم إلى لظمة الوجه
يقول عليه السلام

"أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء"

ويضع قتل النفس مع الشرك بالله جث إلى حسب.. فيهي عن "السع
لونهات" ويجعل منها قتل نفس بغير حق
ويبلغ "محمد" ﷺ أوج الإيمان بالنفس الإنسانية حين يقول في كلمات
شاهقة

"لزوال الدنيا جميعا، أهون على الله من دم سقك بعدر حق.."

لو لم يكن لـ "محمد" ﷺ سوى هذا الحديث، نكان كافيا للدلالة على ما يكنه
هذا الإنسان العظيم من ولاء للحياة منقطع لطير!! ومن تقدير حرمة الإنسان،
يعرف كل تقدير..!

دات يوم عشر أهل المدينة على جثة فتيل م يعرف فأنله، فجمع "الرسول"
ﷺ الناس وصعد اسر عصا وقال

"يقتل قتيل وأنا فيكم، ولا يعلم من قتله؟ لو اجتمع أهل السماء
والأرض على قتل امرئ لعذبهم الله، ولكبهم جميعا على وحوهم
في النار"



ويقول عليه السلام

"يجيء المقتول أحداً فأناله ، وأوداجه تشخب دماً ، يقول - يا رب سل هذا ، فيم قتلنى - ٥٩"

بل اقرءوا ، هذا الحديث

"لا يقض أحدكم موقفاً يُقتل فيه رجل ظلماً ، فإن اللعنة تنزل على كل من حصره حين لم يدفعوا عنه ، ولا يقض أحدكم موقفاً يُضرب فيه رجل ظلماً فإن اللعنة تنزل على كل من حصره حين لم يدفعوا عنه.."

* * *

بل إن 'محمد' ﷺ ليرى محرد التهويم -لسلاح، أو مآلة حادة مؤذية عملاً يستوجب العذاب واللعنة.

يقول عليه السلام

"لا يشيرون أحدكم إلى أخيه بالسلاح ، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده . أى يدفعه إلى الجريمة.."

ويقول

"من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه ، حتى ينتهى

ويعمن به استعداد كل أواب العدوان يقول:

"إذا مر أحدكم بمجلس أو سوق ، وفى يده نبل ، فليأخذ بصالحها . لا يحدش بها أحداً..!!"

* * *

ويصور "محمد" الأعراض بالعرفم بدى يصون به حرمة الأنفس والحياة
و "لمحمد" في هذا ما يغنى عن كل استطراد
دات يوم أقبل عليه سائل يسأله في صراحة العربي وجرأته طامع في أن
يجد للرب رحمة فهو فحل لا يستطيع أن يُعالب في نفسه شقها إلى النساء !
رغبة عجيبة حقاً - لا سيما حين يتقدم بها صاحبها إلى رسول. ^١
ولكن "محمدًا" ﷺ يكشف في هذه الواقعة عن فلسفته تجاه خطيئة الرأ
بل تجاه الخطايا كلها فإذا خطيئة الرأ جرّم لأنها غدوان لأنها ظلم
لقد استدى الرجل منه، وربت على كتفه وقل و لصيء يكسو وجهه، مُنقياً
على الرجل سؤالاً

"أتحب الرأ لأملك.."

"قال الرجل: لا.."

"أتحبه لزوجه؟"

"قال لرجل: لا.."

"أتحبه لأحتك؟"

"قال لرجل: لا.."

"أتحبه لبيتك؟"

"قال الرجل: لا.."

"فقال الرسول: كذلك الناس . يا أبا لعرب . لا يحبونه

لامهاتهم، ولا لزوجاتهم، ولا لأخواتهم، ولا لبياتهم. (١)

من كان يعرف في تلقين الأدب، وبتُّ، المصيلة، طريقة أمثل، وأروع من

هذه، فليأتها به. 11.

قال الرجل. وقد بهره الحجاج، وأقعه المطلق إذن فادع الله لي كي يحسب لي

العفة، ويكره إلى الفسوق. !!

هو صرح الرسول ﷺ كفه، حافية على صدره ودعا له، يقول الرجل " والله ما ب قال ارسون ما قال، حتى اصرفت عنه ولا شيء أبغض من نفسي من الزنا !"

أجل كل عدوان عليك، أو على أحد من معك، لا ترصاه لنفسك، ولا ترصاه لهم. وحب عليك أن تتحب إيقاعه بعيرك وهذا هو الميران، والمعار وللمال في حياة الناس أهمية بالغة.

والحاجة إليه، و لتراحم عليه - كثيراً ما يثيران الخصومة، و لحقد واعدون وهذا يعني "محمد" ﷺ حرصاً العدل من كل اقتبأت يُقصى، له التراحم و لمناصه والطمع - وقف عند الحقوق المادية وقمة بارة طويلة. تأملوا هذا الحديث جيداً

"لَتُؤَدَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقَادَ للشاة الحلقاء من الشاة القرناء."

أي حرص على الناس يمكن أن تُعثر عنه في توكيد صارم أروع من هذا التعبير

ولنتأمل هذا الحديث أيضاً:

"من ظَلَمَ قَيْدَ شَرٍّ من الأرض طَوْقَهُ من سبع أَرْضِينَ."

وكل حيلة لسلب الحقوق، عمل غير صالح ودرية اللسان، رد لاقة العجة، إد نوس بهما امرؤ لأخذ ما ليس به بحق. هذا باء بإنتم كبير

يقول الرسول ﷺ محذراً أصحابه

"إنما أنا بشر وإسكم تحتصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له بنحو ما أسمع . فمن قُصِبَ له بحق أخيه فإيما أقطع له قطعة من النار.."

ويعلى "محمد" أن النعمة الحرام تمسد لعبادة نفسها، وترد الأعمال الصالحة تراباً في تراب
إنه يقول لسعد بن أبي وقاص

"يا سعد أطلب مطعمك، تكن مستجاب الدعوة، هوأندى نفس محمد بيده: إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في حوفه، ما يُتقبل منه عمل أربعين يوماً وإيما عبد نبت لحمه من سمعت هالنار أولى به"
ويقول عليه السلام

"إن الله طيب لا يميل إلا طيباً.. وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾. ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب . ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وعُذِي بالحرام فأنى يستجاب لذلك؟"

ويصح الأمانة، وعممة الطعمة في موضع تتصاعل دونه الدنيا بما فيها فيقول عليه الصلاة والسلام.

"أربع إذا كُنْ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا، حفظ أمانة، وصدق حديث.. وحسن خليفة وعفة هي طعمة.."

ويرى الغشوة عن أعين أولئك الذين يغبطون المتحوصين في أموال الناس على ما هم فيه من ثراء باطل، ونعمة كاذبة، فيقول عليه السلام

"لَا يُفْجِيَنَّكَ رَحْبُ الذَّرْعَيْنِ نَالِدَمَ - أَيِ الْقَاتِلِ - وَلَا جَامِعُ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ جُلٍّ، فَإِنَّهُ إِنْ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يُقْلَ مِنْهُ، وَمَا بَقِيَ كَانَ رَادَهُ إِلَى النَّارِ"



"لَإِنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ ثَرْبًا، فَيَجْعَلْهُ فِيهِ خَيْرُهُ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ فِيهِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ."

وقد يتصور ساس أن الظلم المتمثل في اعتصاب الأموال، مقصور على أموال الأفراد،

كلا، وإن أموال الأمة لأشدُّ عند "محمد" حرمة، وإيه ليجلجل بالسدير في وحوه يدين يعيشون في هذه الأموال، يسرقونها ويحتلسونها. إن كل الصاعات والمصائل لتعحر عن نحو حطشة لسرقة من مال الأمة لنقرأ هذا الشأ الرهيب:

"كَانَ لِنَسِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ غُلَامٌ يُقَالُ لَهُ مِدْعَمٌ، وَفِي إِحْدَى الْغُرُوتِ أَصَابَهُ سَهْمٌ وَهُوَ يَحْمِلُ رَحْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهَمَاتَ...
وَحَاءُ أَصْحَابِ الرَّسُولِ ﷺ يَعْرِضُونَهُ فِي خَادِمِهِ، وَيَقُولُونَ هَنِيئًا لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ لَقَدْ ذَهَبَ شَهِيدًا وَلَكِنَّ الرَّسُولَ أَحَابَهُمْ قَائِلًا...
كَلَّا، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ أَغْبَائِمِ يَوْمِ حَيْبَرٍ، لَتَشْتَعْلُ عَلَيْهِ نَارًا..."

شمة تساوي بصعة درهم أحدها لعلام خفية أو حلقة يوم خيبر

ثم ما هو ذا يموت شهيداً.

ولكن استشهاد هـ، م يدفع عنه عائلة إثمه انقديم لأنه كان ثم عطيماً بهطاً. وعدواناً غير مشروع على مال اساس، مال لأمة لكنها شمة لا تسوى شيئاً ؟؟

أجل ولكن تقديس "محمد" ﷺ لحرمت الحق، والعدل، والأمانة لا تعرف في هذا المجال تفاوتاً رلاً مفضلة

دات يوم رجع إلى ابيه أحد الولاه، وذهب ليقدم لى، لأموال لى جمعها من الركة

قدم بعضها وقال هـ، لكم واحتجر بعضها الآخر وقال وهـ، أهدي إلى

وفى ثو و اس مجتمعون في مسجد رسول الله ﷺ بهض الرسول ﷺ وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قل :

"أما بعد هبني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله، فيأني فيقول. هذا لكم.. وهذا هدية أهديت إلى أفلا جلس في بيت أبيه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً. ؟؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحملة يوم القيامة "

وهكذا يقطع محمد الطريق على السرقة هرية من الأبواب الخلفية "أ" السرقة التي تؤخذ، متكرة في ثاب هدايا وهى فى محص وقعها من شر ألوان الرشوة والسرقة والانتهاك

هذا هو العدل فيما يعمل

أما العدل فيما يقور، فقد ستوصى به الرسول خير وجل لألسة

مسئولية كبرى في إقرار العدل واحق ..

وولاء " محمد " ﷺ بعدل الكلمة يتمش في عبارة موحدة قها. تلك هي

"المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ."

هذا هو الإسلام، كف اليد واللسان عن ظلم لئاس وأذاهم وكف اليد،
يعنى دحض كل أعمال العدوان المدي على حياة الناس، وأحسانهم، وأموالهم،
وأعراضهم ..

وكف اللسان، يعنى درأ كل عدوان ملغوط من عية وبيعة ومطلق حلال
ينهب أصحابه به الحقوق.

ولما كنت شهادة الزور من مصالم اللسان التي تصيب بها الحقوق وتحتفى بها
معالم العدل، فقد صب عليها " محمد " كل نقمة .

كما عد رسول الله ﷺ فقال

"ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراف بالله وعقوق الوالدين..

وشهادة الزور، ألا وشهادة الزور، وقول الزور "

"وكان متكئا فجلس، وما زال يكررها حتى قلنا ليبه

سكت."

وعدوان اللسان، لا يقف عند شهادة زور، ولا عند الحديث الممق لدى
يلبس الحق بالباطل.. بل إن كل كلمة مسيئة تعبر عدوانا

ونقد أوصى القرآن لناس قائلأ لهم : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ فَأَعْدِلُوا ﴾

وهكذا ركز الرسول على " عدلة القلوب " في شتى صورها ولعبه جمعها في

كلماته هذه

"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرا

أو ليصمت .

ويحدث سفين بن عبد الله لثقفى فيقول

"قلت: يا رسول الله حدثنى بأمر أعتصم به ."

"قال: قل ربي الله، ثم استقم. قال: قلت يا رسول الله ما أخوف

ما تحاف على؟ فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: هذا..!!"

ذاك جيب من العدل خفى ودقيق ولكن على من يحى ؟ على 'محمد'

لذى قل للفس " من كنت جدت له صهرًا فهذا ظهري، فليقدمه !!؟ "

"محمد" لدى قدس العدل رفعة فوق بيوت ولأهواء، واعتبره - كما

علمه به - واجبًا مهروضًا، لا تستحبه قرابة قريب، ولا يحتجزه شأن عدو ؟

ها يترك "محمد" رسول الله خطر بلسان على العدل، وخطر الكلمة،

حدها، وهرلها، فيقف من حصائد الألسنة موقفاً مدحاً مدحهم، وبالحرم

انظروا

"إن الرجل ليقول الكلمة، لا يبقى لها دالا، يهوى بها في النار

سبعين خريقاً!!"

كسمة، لا تلقى لها دالا، قد يصيب بها حق سان، أو يتقصص بها قدره يعزل

وبالها عليك، وإثمها ممسكًا بحاقت أمدًا بعيدًا

دات يوم ذكر "الرسول ﷺ" زوجته "صفية" بحير، وكأنى من الحديث من

"عائشة" عيرة فائرها

وقلت: ومادا يعجبك فيها؟ إنها قصيرة..!!

تلك هي العبارة التي ألفتها عائشة، ولم تزد. وإذا الرسول ﷺ يعقب عليها

قائلا



"ماذا يا عائشة؟ لقد قلت كلمة لو مزحت بماء البحر لمرحتك!!".

إنه ساهر على الماء الذي فرصه عليه ربه، المتمش على آية للكرامة
﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾

وعداة لقول تفصي ألا تفصي الكلمة إلى مساءة . آية مساءة للإنسان -
أي إنسان!!

حتى إذا تناولت الكلمة إنساناً بقيقة هي فيه تكون قد حافت العدل
وجابته

سأله واحد من أصحابه يوماً

"أرايت إن كان في أخى ما أقول؟"

فأجاب "محمد" ﷺ

"إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبتك وإن لم يكن فيه ما تقول،
فقد بهتت".

وينقل "محمد" ﷺ من "عدالة القول" إلى "عدالة الشعور"

وإنه يريد للناس أن يظفروا دائماً على مشاعر عادية، وأحاسيس بطيئة
فإذا اعتديت على آخر يديك، فهذا ظلم ورد اعتديت عليه بلسانك
فهذا ظلم.

و "محمد" ﷺ، إنسان يكشف ظلماً آخر لم يكن يعرفه ظلم غير مظفور بيد
أنه سبب مبشر لكن ظلم مظفور ذلكم هو ظلم الشعور.

إن مجرد انطوائك على مشاعر عدوانية تجاه الآخرين، يسدك في عداد الظالمين.

وهذه المشاعر العدوانية، تتمثل في آفات كثيرة، منها

الحسد.. وسوء الظن.. والشماتة.. والاحتقار..

كل هذه الآفات - حتى إذا دارت داخل نفس وشعور، ولم تعر عن نفسها عدوان فعلى يعتريها "محمد" ﷺ ظلمًا وهو لم يتعقبها، محذرًا منها، ناهيًا عنها يقول عن الحسد

"إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنة، كما تأكل النار العشب.."

"لا يجتمع في جوف عبد، الإيمان والحسد.."

"ليس مني ذو حسد ولا نميعة ولا كهانة، ولا أبا منه.."

ولقد سئل عليه السلام يومًا من أصحابه

"يا رسول الله أي الناس أفضل؟ فأجاب: كل مخموم القلب صدوق اللسان. قالوا: صدوق اللسان نعره، فما مخموم القلب؟ قال: هو التقى النقى الذي لا إثم فيه ولا بغي، ولا عل ولا حسد"

أحسن: إن سلامة الصدر تشكل عند "محمد" الإنسان، لعظيم والرسول الكريم المع سمات الإيمان، وأحل أركانه .

وإيه لدائم الحث عليها والتذكير بها، والإشادة بفصلها، لأنه يعرف دورها في قرار العدل بين الناس ونفى الظلم عنهم بصورة شاملة ذات يوم كان يجلس - عليه السلام - مع بعض أصحابه، فقال لهم "يطمع عليكم الآن رجل من أهل الجنة"، فطلع رجل من الأنصار تصطب لحيته من وضوئه

فصمم عبد الله بن عمرو، على أن يعرف عمل هذا الرجل اسدى شهد له "الرسول" ﷺ بالجنة وبالخير على هذه الصورة .
فاصطنع حيلة حتى بايته في داره ثلاث ليال .. فلم يجد له تعبدًا يفوق الآخرين.

وقبل أن يهم عبد الله بن عمرو بالرحيل عنه ذكر له مقالة "الرسول" ﷺ عنه، وسأله. إن كان له عمل صالح يخفيه، حتى استحق كل هذه المكانة فأحابه الرجل 'مالي عمل إلا ما رأيت أصلي كما يصلي الناس، وأتى من الطاعات ما يأتون غير أنني لا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إليه' وأخذ مضجعي كل ليلة، وليس في قبي حقد لأحد...!!"

هذا هو المودح الذي رفعه 'محمد' ﷺ لأصحابه مثلاً أعنى تهوى إليه لأفئدة

رجل لا يمتدح عن الناس بكثير صلاة، ولا صيام إنما سلامه صدر لا يعرف الحقد ولا الحسد. ؟!

وأم سوء الظن، فقد كافحه "لرسول" طويلاً

يقول عليه السلام:

"إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث.."

ويقول

"إني إن اتبعت عورات المسلمين أفستهم، أو كدت أفستهم."

إن الظن عند "محمد"، لا يشكل آفة سلبية، بل هو آفة إيجابية، ها هي الإثم والعدوان دور إيجابي.

فبعثه الظن بأنه "أكذب الحديث" يعنى، حراح الظن عن مجرد كونه مهمة نفسه، إلى حقيقة أنه تحريض فعلى، ومشروع فى عدوان

وتتبعك عورات الآخرين، ولو بالظنون المسية وحدها، سيجعلك تتخذ منهم موقفاً سيئاً يجيبون عليه بموقف سيئ مثله وبهذا تكون قد أفستهم، وأفسدت نفسك قبلاً.

ولما كان الظن يستتبع الفضول والتحسس، فقد أعلن "محمد" ﷺ مقتفه به واشتماره منه، قال فى الحديث الذى بهى به عن الظن

"إياكم والظن، فإنه أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا.."

وكان يهى أصحابه عن أن يقلوا إليه أحبار الآخرين فيقول لهم.

"لا تحدثوني عن أصحابي شيئاً، فإنني أحب أن أخرج إليكم منشرج الصدر."

ألا حيا الله أشرف خلقه..!!

به بدلا من أن يصع العيون على حركات لباس وخلقياتهم ليكون فى مامن من مكر الماكرين يعصم هذه العيون ويرحرف عن كل تحسس، وفصور !

ذلك أن "محمدًا" ﷺ يسان صادق مع نفسه، صادق مع نهجه ورسالته

صادق مع حياته صادق في علاقته بالناس وبالأشياء جميعاً

وأما الشماتة فيقول عنها

"لا تظهر الشماتة بأخيك، فيعاقبه الله ويبتليك"

ويقول:

"من غير آحاه بذنب، لم يمت حتى يعمله"

ولما أن سأل: من الشامت لم يعتد على أحد، فلم يعاقب. ؟ به مجرد سرور

نفسى واثاه حين رأى غريمه فى مازق ٩٩٠

هدد عد "محمد" عدوان بل عدوان يطوى على صغار، ودعوة

فعندما يكون الآخرون فى مازق . يكون واحسا أن تحف إلى مجدهم،

ونسارع إلى إبقادهم فإذا تحلب عن هذا الواجب، فقد ألحقا بهم من الأذى بقدر

ما يخلد به من العور ثم زدا مرارة الأذى فى أنفسهم بما خصمه من فرح،

وتهلل، وشماتة.

ولهذا لم يكن من القصاص مد...

وهذا معنى قول "الرسول" العظيم

"فيعاقبه الله، ويبتليك."

وعن احتقار الآخرين بهى "محمد" لإنسان، وشدد فى النهى

يقول عليه السلام:

"إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا

يفنى أحد على أحد.."

"ألا أخبركم بشر عباد الله؟ الفضل المستكر."

ويرى في حقنر الناس أي كن قدر هذا الاحتقار شراً كبيراً يلحق بمركبه
الأدى والوبال، فيقول.

"بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه.."

ويدمدم على المحتالين في كلمات حامية فيقول.

بئس العبد . عبد تحيل واحبال ونسى الكبير المتعال.

بئس العبد . عبد تحبر واعتدى . ونسى الحبار الأعلى..

بئس العبد . عبد طفى وبغى . ونسى المبدأ ، ولنتهى."

هكد ك فح "محمد" ﷺ الحسد، ولطس، والشماتة، والاحتقار بوصفها
مشاعر عدوانية ووصفها نوعاً من الظلم الخفى الذى يدور داخل النفس، ثم
يقضى إلى مظالم خطيرة، وشرور كثيرة

وفى كل مظاهر الظلم التى أسلمناها - المعلن منها، والمستحسى كإن الحديث
يدور حول ظلم الغير . أعنى الظلم الذى يقع على الآخرين

ولقد رأينا كيف قاوم "الرسول" ﷺ ظلم لغير هذا، فى كل مطبه
ومصادره، وأشكاله - فعلاً كان أو قولاً، أو شعراً

لكن نمة طمناً لا يحسه الناس طمناً ذلكم هو ظم النفس
فكثيراً ما نطن فى حق ممتع "!" أن من حقا، حقا لعطب أنصا ما دم
أنفسه..

هذه نفسى وإد لم أملك حق التصرف فيها، واللهو بها كب أشاء، فمدا
يقبى لى من حق..؟؟

أنت ظم إد فقات عين، سان آخر لكن إذا بدا لك لأمر ما أن تفقا عمت

أنت فأى ظلم هنا أليست عينك، والأذى وقع بك وحدك.. فأين لظلم هذا، وكيف يكون ظلمًا..؟؟

إن "محمدًا" ﷺ لدى جعل العدل شريعته، والذي تعقب الظلم فى أدق أشكاله، وأخفى مظالمه - سيفسر لنا ظلم النفس هذا،

وحس هنا خلق الله، والله لم يخلقنا عبثًا، إنما خلقنا ليحقق بنا أمورًا عظمى وفى كل لسة من سائر الإنسانى الشامخ، أعنى فى كل فرد، سر النوع البشرى جميعه

والله سبحانه حين يصطفى من عبده من يرتادون للناس لطرق الجهولة لا يصع عليه على الضحاحم العظام دوى الهامة والقامة والثراء والبأس.

ولطالما انشق من الصفوف الخلقية أنبياء ومرسلون وقادة ومصلحون ليس ذلك دليلًا على أن عامة الناس وصغوتهم فى الميراث سواء؟ بل وفى ذلك أصلاً دليل على أن الفرد الإنسانى له قيمته أيًا كان ذلك الفرد عالمًا، أو وفاقًا.. ملكًا، أو كنانًا

وقيمة الفرد آتية من أنه ينطوى على سر نوعه الإنسانى، ويحمل جزءًا من مشيئته ومن قدرته.

وآتية من أنه خلق الله الذى لا يخلق عبثًا..

ومن ثم، فهو لا يملك أب يتصرف فى نفسه على هواه..

وإذا بدا للدين يؤمنون بالله، أن يصعوا مكن كدمه "الله" كلمة "الطبيعة" فإن الشئحة من تنغير. فالفرد الإنسانى بوصفه جزءًا من لطعة، متصمًا سرها، ومشيتته وقدرتها، لا يملك أن يموت عليها فرصة وجوده ولا تنفع به

والإنسان عند "محمد" ﷺ - عند الله، ولكن به عبده الخير الرشيد يختار رأيه، ويختار عقيدته، ويختار حياته ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ ، ﴿ وَلَا تَرَوْا وَازِرَةً وِدْرًا أُخْرِى ﴾ و ﴿ الْإِنْسَانُ عَنِ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ .

وموقف "محمد" من الناس، موقف الصبح الأمين، وليس عليه إلا البلاغ، وفي أمر التكليف الذى أنقى عليه تبعات الرسالة، قل الله له: ﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ - ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ﴾ - ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾ - ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ - ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا التَّلَافُ ﴾

وحين أُرِدَ "الرسول" عليه السلام أن يكافح ظلم الإنسان لنفسه شطر واجه تجاه ذلك شطرين

الأول، واجه تجاه الإنسان كحياة

واثنى، تجاه الإنسان كإرادة وسلوك..

أما الإنسان، كحياة فقد وقف "محمد" ﷺ موقفاً صارماً ضد ظلم المرء لحياته

حياتك ليست ملكاً لك إلا بالقدر الذى تحقق به إردتك الحرة السوية - إرادة الباء لا الهدم.

فإذا أردت أن تقصر حياتك بالانتحار مثلاً، فلتعلم حينئذ أنها لم تعد حياتك، وليس من حملك أن تمسها سوء

إبك لا تعلم ما فى هذه الحياة التى تريد أن تنجهر عليها من حير

قد يكون فى صلبك عمقوى ينتظر ساعة الإحباب والولادة

ولو أن أدم لرواد الدين فادوا انتريح الإنسانى، وملثوه روعة ومعاً لو أن

باء هؤلاء استحبوا لدو عى ايباس، وتخلصوا من الحياة، فأى ظلم كانوا



سيظنموه للحياة ولناس، حين يدهون وفي أصلانهم تلك العقيرت التي
هزت الوجود، ورعرت الحياة ١١٩٩

لقد بدأ "محمد" مقاومة ظلم الإنسان نفسه من هنا..
من الانتحار..
انظروا.

"من تردى من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنم يتردى خالدًا
مخلدًا فيها أبدًا.."

"ومن تحسنى - أي شرب سُمًّا - فقتل نفسه فسمه في يده
يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا.."

"ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجأ بها - أي يصرب
بها - نفسه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا.."

إنه وعيد رهيب، لا ريب.

ولكن ألا تساوى الحياة أن يزجر ناس عن إرهابها، بمثل هذا الوعيد ١٢٠
ويحدثنا حاتم بن سمرة صاحب رسول الله ﷺ أن رجلاً أحمر على حياته،
علم يصل الرسول عليه



وكما يكون تقويض الحياة ببيترها، والإحهر عيها، يكون أيضاً تعطيلها
وإحاطة قوها..

وكما يكون الإنسان طامعاً لنفسه حين يقتلها يكون كذلك طامعاً بها حين
يتركها للسوء والآفات

وها يقف محمد ﷺ وقفة كلها ولاء للحبة، وكلها بر بإرادة الإنسان،
وبسلوك الإنسانى.

وهذا أيضاً - نتصح ابوجهة لصيغة لموقف "محمد" من الآثام.
فهى سبيل الحسولة بين الإنسان وظلمه نفسه قديم "محمد" ﷺ الرذائل والآثام

لأن الإثم ظلم للنفس، بل هو من أكثر أنواع الظلم تكرراً وأشدّها وبالا.
أجل - هكذا يسغى أن يفهم موقف "محمد" من الخطيئة
فهو م يرد قط أن يتحكم فى الإرادة الإنسانية ولا أن يسوق الناس سوق
القطيع

إنما أراد أن يحكمهم من وسائل اللعب والتفوق
وهو حين يهوى عن الرذائل، ويشدد فى الهوى عنها إنما يفعل هذا لما يعرفه
تماماً من صراوة الرذائل الفاتكة، وقسوتها على تعويق الكمال لآسائى وإحباط
مسمى الإرادة إلى الخير ولا رتقاء..
على أنه فى بهية ورحمة عن الإثم، لم يمس لحظة واحدة، تلك الظروف
الكثيرة التى تجعلنا أئمين.

فكان مثله مثل الواد الحنون الذى يصبر طمعه يسط كفه الغصّة إلى حمرة
متوهجة ليلهو بها ويلعب.

إنه يزجره فى عنف . ولكن وراء هذا الزجر حنان دافق !!
وما كان "لمحمد" رسول العدل والرحمة، أن يترك هذا اللون اللين من
الظلم ظلم للإنسان نفسه بافتراء الآثام، دون أن يحسن هذا الظلم ويحذره عفاه
وهكذا مضى يحذر، ويذكر، ويعلم
إنه يدعونا إلى الطاعة والخير.

ويدعونا إلى التوبة دومًا، لأن على الدوام عرصة لدول
يقول عليه السلام

"يأيها الناس توبوا إلى الله، واستغفروا، فإني أتوب إليه هي
اليوم مائة مرة.."

وهو يرسم صورة لمفضيلة الصادقة:

"إن تعبد الله، كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك"
"اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة حمنة تمحها وخالق الناس
بحلو حسن.."

"إن الله تعالى يفار وغيره الله أن يأتي المرء ما حرم الله عليه.."
"الكَيِّس من دن نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع
نفسه هواها، وتمنى على الله الأمانى."

ويقول عليه السلام

"حفت النار بالشهوات، وحمت الجنة بالمكاره"
"يتبع الميت ثلاثة: أهله، وماله، وعمله، فيرجع أشان، ويبقى
واحد: يرجع أهله، وماله ويبقى عمله.."

"كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل ومن أبى يا رسول
الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى.."

وتتو لي أحاديث "محمد ﷺ" وكلماته داعية إلى بمصائل و حدة واحدة،
وناهية عن الرذائل، رديله رذيله.

وهو في كل هذا يهدف كما ذكرنا من قبل إلى إقرار العدل والسلام بين
الإنسان وبين - يتجبه الآثام التي يظلم بمقارفتها ذاته
لقد لخص الدين في كلمة واحدة فقال

"الدين، النصيحة.."

ولقد نصح عليه السلام أوفى ما يكون النصيح الصادق، لأمن



هذا موقف "محمد" ﷺ مع العدل. بعد موقفه من الرحمة
والآن إلى محال آخر من مجالات إنسانيته الباهرة.





■ الفصل الثالث ■

..والحب فطرته

||| لا تؤمنوا ، حتى تحابوا |||



"محمد" ﷺ مُحِبٌّ، ودود !

أطاع الله كثيراً؛ لأنه أحبه كثيراً. وهرَّ الناس كثيراً؛ لأنه يحبهم كثيراً. وأقبل على الفصائل والواحيات جدلاً؛ لأنه متهمجاً، لأنه أحبها وأحبُّ من كل قبيلة الطهر، والنقاء.

وهذا هو سر تفوق عظمة "محمد" ﷺ. إنه أحبُّ عظام الأمور، وممارسة في شعب عظيم، ممارسة محب مضطور لا ممارسة مكلف مأمور !

ووراء كل سلوكه ومواقفه وحياته نجد الحب. إذ سجد وأطال السجود، وسُمع وجيب قلبه، وشيخ تصرعه وبكائه. فذاك لأنه في عمرة شوق جارف، ومحنة واحدة.

وهذا، كان ينتظر الصلاة على شوق. وإذا جاء ميعدها قال لمؤذنه "أرحب بها.. يا بلال..!".

أجل أرحب بها لا أرحبها منها..!!

وهذا هو الفارق بين المحب، ولو أحب.

إن الواحب قد يؤدي على كره ومصص. أما المحب فيأخذ طريقه إلى أشق الأمور في انتهاج وغبطة.

ورد شغل نفسه وباله بأمور الناس، وخذ في هذا الشغل نذرة العاشق وشوّه

لحب ذلك أن عاء الواحب لم يعلِّله إلى روح "محمد" سبل لقد سطر حب

ومداد..

وأصحت الواحات هواية لا، بل فوق هده، وأحل من هده صارت
شعائر يُحبها، ويعشقها، ويأس بها ومحب

والحب عبد "محمد" لبس شهوه. إنما هو فطره.

وفطرته تنساب ألفه، وتتفخر محبة

هكذا، كان طفلاً، وقتي، وكهلاً.

لم تقع عبه عن إلا أحبه وأسلمت قلب صاحبها ليام شديد

ذلك أنه كان يطوى على حب كبير - بل كان هو الحب كله

هَذَا رَأَى مَغْصُ ثَلَاثَ ذَابَ مَغْصُهُ مِنْ قُورِهِ حِينَ يَمْسُهُ نَفْسٌ وَاحِدٌ مِنْ

أَنْفَاسِ حَبِّهِ الْجِيَاشِ الدَّاهِي

دات يوم أقبل عليه رجل فط لم يكن رآه من قبل، غير أنه سمع أن "محمدًا"

يسب آفة قريش والقبائل كلها، فحمل سيوفه وأقسم ليسوئاً مع "محمد" حسبه

وبدا حديثه عاصفاً مزيجاً. "والرسول ﷺ يتسم وتطلق مع سماته

أطياف مور أسر وما في لا لحظات، حتى نزلت المنيعة المتهمج محب يكدم من

فرط الوجد وخياء بدوب، و تكأ على يدي "محمد" ﷺ وقدميه يملهم،

ودموعه تنحدر في أنثيال مُتدارك

ولما أفاق. قال

"يا محمد": واللّه لقد سعيبتُ إليك، وما على وجه الأرض

أبغض إليّ منك، وإنّي لذاهب الآن عنك، وما على وجه الأرض

أحب إليّ منك..!!

ماذا فعل "محمد" ﷺ بقلب الرجل وروحه ؟؟

لا شيء

لقد أحب "محمد" الرجل من كل قلبه، فحر حروته صريع حب ودع

و "محمد" لا يتكلم الحب، بل لا يبدله إنما يبدل الحب عند "محمد" نفسه !!

وقلب "محمد" مفتوح دائماً لكل الناس - الأصدقاء، والأعداء
والذي حدث عندما اقترب ذلك الرجل منه، أن مسبه شعاعة من فيض
قلبه الكبير

معدورة قريش، حين لم تدرك هذا السر الخليل. فقالت: إن "محمدًا"
ساحر .

ما رآه جبار، لا لأن عوده من فوره
وما أكثر الدين أقبلوا عليه ليرحروه، ريمسوه عن دينه، فم هو إلا أن
تعانقهم منه بطرات عييه الحسب حتى يدخلوا في دبه فرحس .
ومن هؤلاء كان "عمر بن الخطاب"
ألم يذهب إليه متصياً سيهه، والناس يتواثبون من كل مكان ليشهدوا، لوفعه
الكبرى .

ولكن "عمر" الحبار داب كقطرة ماء امتصته، قطعة من السكر
داب حتى قل أن تقع عليه عين "محمد" ﷺ داب عندما وقعت عيناها على
آيات من القرآن أودعها "محمد" وهو يتلوها، نص حه، وصفه روحه، واقتدار
مودته ..

"محمد"، محب ودود

والحب عنده طبيعة، وفطرة، لا عرض وشهوة
من أجل هذا، كان يذل حه في سحابة نفس نادرة الظير
أحب الله وأحب الناس وأحب الزمن، ولمكن، وأحب كل شيء عى

كون الله الرحيم

و حين نتبع الحب في حياته وفي أحاديثه، نجد قد اتسع لكل شيء وأحاط
بكل شيء

لقد بدأ فأحب ربه حباً عظيماً

والله - عبد "محمد" - هو باري حياة كلها والأحياء جميعاً. فكل حب به هو
في الوقت نفسه، حب للحياة وللأحياء

ذلك أن الله عبد "محمد" وفي عقيدته، ليس أسطورة مثالية ولا رمزاً خيلاً

إما هو حقيقة، بل هو الحقيقة الكبرى

وإن الحلال لمهيب الذي يتنذى عن الكون العظيم لينعم قلب "محمد" ﷺ

بالحب ولتقليد الخالق الكون ومبدعه

وإبه ليهيب حباً، ريتفجر شوقاً

د ت يوم وهو في الطائف، حديث عهد بدعوته - سلط عليه أعداؤه بعض

لسفهاء، فاطلقوا وراءه حصونه بالحجارة فأوى منهم إلى حائط يتقى به

لحجارة المقدرة واستجشيت المحبة نفسه، فهطت دموعه وكأنما كانت حجارة

تلقى في بحيرة ساحية ساكنه، فاثارتها، وأهاحت ماءها العذب لوديع

أحبل لقد حشت نفس "محمد" ﷺ بما تنطوى عليه من حب، وشوق.

مرفع بصره إلى سماء ربه ومحبيه، وقاس -

"إن لم يكن بك غضب عليّ، فلا أبالي" ١١

الله أكبر

إن "محمد" ﷺ لا يحشى العذاب، ولا الألم إلا إذا كان تعبيراً عن تخلى الله عنه

أم إذا لم يكن الله غاصباً، ولا عاتياً، فمرحباً بالألم ومرحباً بكل ما يكيد به

السفهاء ..

"إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي."

ومى الله وللحظة يدرك "محمد" أنه لا ينبغي للمحب لصادق فى حبه أن يشغله استعداد لتصحية، عن رجاء العافية فينبع صراغته السالفة، بصراحة أخرى ويقول

"ولكن عافيتك أوسع لى.."

والحب فى غمار الصحبة شىء جميل ولكن الحب فى غمار العافية أسمى وأجمل
و"محمد" ﷺ موفور لاستعداد لأب يلاقى كل الأم الحب ولكنه شديد الشوق لمناهج الحب..

وسامح الحب تتألق فى نطاق العافية فهو إذن يشهد لعافية، لأنها تتيح له المزيد من الحب.. والمريد من الطاعة لمن أحب وهكذا نأخى ربه تلك المناجاة الدكية :

"إن لم يكن بك غضب على، فلا أبالي.. ولكن عافيتك أوسع لى."

به - عليه السلام - لم يقل "عافيتك أحب لى" بل قال "عافيتك أوسع لى" ذلك أن المحب الصادق لا يختار لنفسه، ولا يجح عن إرادة المحبوب واحترامه و"محمد" ﷺ لا يحب نفسه، ولا يحب لنفسه إيم حبه لربه "حققه" من حقائق الإرادة الإلهية وحدها!!

ذات يوم يدخل على والده الحبيب "إبراهيم" وهو مسجى فى فرش الموت ويتدفق حزن "محمد" عامراً مقيصاً، فلا يريد على أن يقول وعاءه تنكيس.

"تدمع العين .."

"ويحزن القلب "

"ولا نقول ما يسخط الرب .."

أجل هذا هو حب "محمد" ربه ومولاه . حب فوق مستوى النفس . حب
نابع من الله وعائده إليه . حب يحرر صاحبه من كل ما يسخط محبوبه العظيم
ولطال كان "محمد" ﷺ ينتشى بهذا الحب . بل هو دروماً مُنتشٍ به نشاء كله
بقظة وصدق .

يقول في بعض أحاديثه الكريمة

"رأيت الليلة ربي في المنام فوضع يده بين كتفي . حتى وجدت
برد أنامله في صدري ."

تأملوا بهاء هذه الصورة

'وجدت برد أنامله هي صدري '

إنها تكشف عن طبيعه المشاعر والأحاسيس التي كان حب "محمد" لربه
يعرف على أوتارها

إنه يجد برد أنامل الله في صدره .

إن علاقته بالله، وحيه إياه بلغ من الشفافية والألق الدروة العيا
وتبدي الإيجابية في حب "محمد" لله حين يتسل له ويحت . وحين يصنع
الصدق في العلاقة بالله موضع التقديس

وإد كان الرياء يعنى فقدان الصدق في علاقتنا بالله . وفقدان الصدق يعنى
بدوره تهالك الحب وزيمه . فقد شئ "محمد" ﷺ على الرياء هجمات ماحقة
ولم يكن ثمة رذيلة أبغض إلى نفسه اكبر منه

يقول لئس

"إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى.. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، هجرته، إلى الله ورسوله *
ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينجسها، فهجرته إلى ما هاجر إليه.."

إنه يريد أن يكون حب لله حاصلاً وأعماله في سبيله خالصة
و"محمد" ﷺ يحل العلاقة بالله إحلالاً يحمله على عتار الرياء شركاً
يقول لأصحابه

"إن أخوف ما أخاف عليكم - الشرك الأصغر - قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء يقول الله عز وجل إذا جرى الناس بأعمالهم، اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء..؟"

ويقول أيضاً

"لا يقبل الله عملاً فيه مثقال حبة من خردل من رياء.."

إن الإخلاص، هو الربير الذي يكشف صدق الحب وريعه
وحب غير معمم بالإخلاص، لا يكون حباً على الإطلاق ولقد أحب
"محمد" ربه، وعلم الناس كيف يحبه

* * *

فإذا أحب "محمد" الناس، وحبا يدفع نفسه، والصدق نفسه ولس
الوجدان العامر العظيم
انظروا..



إن "محمدًا" ﷺ يحب الناس جميعًا..

ومحمد ألقى إليه بكلمات الهدى والخير والعلاج

ومن ثم دفعه حبه للجميع لأن يبلغ هذه الكلمات الهدية للجميع

واستجاب الله له أو قولوا. حتره الله لما كان هو يرغبه ويرجوه فأرسله

لناس كافة

فرسالة "محمد" تمثل تعات حبه للناس جميعًا

إن من يحب الناس حنًا صادقًا، بصير مسئولًا عن مصايرهم

وهكذا حمل "محمد" ﷺ مسئولية حبه العظيم

إنه لم يحب عشيرته الأقربين وحدهم .

ولم يحب العرب وحدهم .

بل أحب الناس جميعًا.

وإذن، فليحمل المسئولية تجاه الناس جميعًا.

وهذا هو معنى أنه رسول للعالمين

يقول المحب الودود عليه السلام

"بعثت إلى الأحمر والأسود.."

فشمول رسالته إذن، ليس مظهر سيطرة ولا طمع في نفوذ

بما هو مسئولية الحب الذي فطر عليه محمد ﷺ حب الناس جميعًا أحمرهم

وأصودهم

وليس أدل على هذا من قوله عليه الصلاة والسلام في حديث آخر

"بعثت إلى الناس كافة. فإن لم يستجيبوا لي، فإلى العريب. فإن

لم يستجيبوا لي، فإلى فريش. فإن لم يستجيبوا لي، فإلى بني هاشم..

فإن لم يستجيبوا لي، فإلى وحدي."

يا لله ما أروعهُ !!

إبه ليس بمسيطر

إبه يحب يدعو من أحبهم إلى الخير، فإن استجابوا فما أسعده بهذا وإن لم يستجيبوا فقد أدى الذي عليه

ولقد انتصر حبه العظيم الصادق، وبلغ رسالته للناس جميعاً
ويدعو "محمد" الناس كي يحب بعضهم بعضاً. بل يجعل الحب آية الإيمان،
فيقول

"والذي نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا . ولا تؤمنوا ،
حتى تحابوا.."

ويعنى عليه السلام، بكل ما من شأنه أن يعش عواطف الحب بين الناس
ذات يوم كان يجلس معه رجل من أصحابه، فمر بهما رجل آخر فقال
جسسى السى له يا رسول الله: إني أحب هذا الرجل
فسأله الرسول: وهل أعدته بهذا ؟

قال الرجل لا

فإن النبى . فأعلمه .

فلحقه الرجل وقال له، إني أحبك فى الله

فأحبه صاحبه: أحبك الذى أحببتى له !!

ووضع الرسول ﷺ لهذا تعليماً وتوجيهاً فقال:

"إذا أحب أحدكم أخاه، فليخبره أنه يحبه"

ويقول .

"إذا آخى الرجلُ الرجلَ، فليسأله عن اسمه، واسم أبيه، وممن هو، فإنه أوصل للمودة".

والحب عند "محمد" مثوبة نفسه .

والحب قد يدرك بحبه ما يحجز عن إدراكه بعمله.

يسأله "أبو ذر" ذات يوم عن الرجل يحب لقوم ولا يستطيع أن يعمل عملهم؟

فيجيبه عليه السلام بعبارة الجامعة:

"أنت مع من أحببت .."

أجل.. إن الحب نسب .

فرد: أحس خيار الناس، فأنت معهم وأنت معهم. حتى إذا سقوك في

السعي، وتفوقوا عليك في العمل.

ويخلق "محمد" عبه الصلاة والسلام بالحب في الله تحليفاً عالياً حين

يقول لن

"إن من عباد الله أناساً، ما هم أنبياء ولا شهداء، يغطيهم الأنبياء

والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله تعالى ."

"قالوا يا رسول الله، تخبرنا من هم."

"قال: هم قوم يحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم. ولا أموال

يتعاطونها.."

"فوالله إن وجوههم لتور، وإنهم لعلى نور، لا يحافون إذ خاف

الناس.. ولا يحزنون إذا حزن الناس.."

ثم تلا قول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا

هَمْ تَحْرُوتْ

والحب عند الرسول ﷺ، يمثل القاعدة لراسخة لسلوكه وحين تفرص عليه الظروف القاهرة أن يعص بعض الناس، فإن هذا الغضب لا ينصل عن قاعدة الحب داتها أعنى أنه - عليه السلام - يغض حين يكون الغضب تعبيراً عن الحب، وولاء له

فهو - مثلاً - يحب الحق وهذا الحب يقتضيه أن يغض الساطن

وهو يحب العدل، وحب العدل يتطلب أن يكره الظلم

وهكذا، فهو لا يعص عن حقد أو برة، إنما يعص حين يكون العص

"موقف دفع" عن شيء يحبه

وهو لا يحب نفسه، ولا يغض لنفسه، إنما تحدد قمة العلي السامية، ما يحب

وما لا يحب

على أن بغضاء هذه، عندما يكون موضوعها أساساً يستحقونها لم تكن

ذات أصالة في طبيعته ولا في سلوكه بل مجرد سحبة رفيقة عابرة، لا تلت

شمس حبه أن تسطح أثرها مرسله دعتها وسناها

فها هو ذا يلقي من حصوم دعوته في قريش أشد الأذى، وأفدح المؤامرات

وبكه لا يكاد يدخل "مكة" ظاهراً مؤيداً حتى يقول بلديب أحر حوه منها،

وكادوا له أعظم انكد

أذهبوا هانتهم الطلقاء..

لقد أنصهم حين أحسو على عاتقهم طماء سور الله ومقومة قوى الخير

والحق.

فلما زال عنهم بأسهم الذي عرهم بالله، وحرصهم على الشر زالت



بغصاؤه هم، وكأنها لم تكن..!!

ولحمد الإنسان في هذا المقام ترجيه تناهي في السداد والمطنة

مهر يقول

"أبعض بغيضك هوئاً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما.."

* * *

ولم كانت آداب الصحة والسلوك مما يشد اصرة الحب، ويركي مشعر لود
فقد أولاه "الرسول" ﷺ عناية واهتماماً، وتبع دقائقها فأوصى بها حبراً ورا
لنتبهر حقاً وبحن نطالع وصايا محمد في هذا المجال
قرءوا

"إذا كانوا ثلاثة . فلا يتأذى اثنان دور الثالث، فإن
ذلك يحزنه"

آية إنسانية عامرة، تلك التي يتصمخ بها قلب "الرسول" الكبير !!
إنه يوصي الأصدقاء إذا كانوا ثلاثة ألا يفرد اثنان منهم بكلمة سر، فإن
دلت يسىء إلى شعور الثالث، إذ يصعه، أو قد يصعه موضع الظنة وضعف الثقة به.
وفي آداب الصحة يقول كذلك

"لا يقيم أحدكم رجلاً من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن
توسّعوا، وتفسّعوا، يفسح الله لكم.."
بل يقول، وما أروع ما يقول .

"لا يحل لرجل أن يجلس بين اثنين إلا بإذنهما.. ألم أقل لكم إنه
تتبع دقائق آداب الصحة، فجعلها شعائر؟ وهو يعتز أيها اعتزاز
بتبادل التحية.."

وهاتان الكلمتان "اسلام عبيكم" تعيان عند "محمد" شيئاً كثيراً وحليلاً
يقول عليه السلام

"إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم. فإن أراد أن يقوم
فليسلم.. فليست الأولى بأحق من الأخرى."

ويحدث "كلوة بن الحنبل" بقول :

"بعثني صفوان بن أمية إلى رسول الله ﷺ بهدية. فدخلت عليه،
ولم استأذن. ولم أسلم، فقال لي الرسول: ارجع، فقل: السلام
عليكم، أأدخل؟"

وحى مع الأهل لدين براهم دائماً، وعيش معهم، يوصي عليه السلام،
بالحرص على التحية
يقول أنس رضي الله عنه

"قال لي رسول الله ﷺ: يا بني. إذا دخلت على أهلك فسلم،
يكن سلامك بركة عليك وعلى أهل بيتك.."

ويُسأل "رسول الله" ﷺ ذات مرة:

- أي الإسلام خير..؟؟

محجب

تطعم اطعم. وتقرأ السلام على من عرفت، ومن لم تعرف.."

ويقول عليه السلام

"ثلاث يصفين لك وُدَّ أخيك: تسلم عليه إذا لقيته. وتوسع له في
المجلس.. وتدعوه بأحب أسمائه إليه.."

وهو بقول أيضاً:

"تصافحوا، يذهب النمل.."

* * *

والوفاء لا يفصل عن الحب بحال.

ووفاء "محمد" ﷺ شيء بهر يفوق كل ولاء؛ لأنه يعكس حب عظيم،

يفوق كل حب

مثل يوماً، لمدا يجهد نفسه في العادة، وقد عفر الله له ما تقدم من دسه

وما تأخر

فانظروا كيف كان جواده؟

"أفلا أكون عبداً شكوراً.. ١١٩٩"

أصدق وأروع صور الوفاء لله .

"أفلا أكون عبداً شكوراً.. ١١٩٩"

ودت يوم ررته بالمديته سيلة عجوز، فحف عليه سلام لفائيه في

حصاة بالعة، وعطة حافلة، وأسرع فجاء بردته النعيسة وسطه على الأرض

لتجلس عليها العجوز

وبعد انصرافها، سألته عائشة رضى الله عنها عن سر حقاوته فقال

"إنها كانت تزورنا أيام خديجة.."

* * *

وبين عرفته في اسجد، ومكان المنبر، حيث كان يؤم المسلمين في الصلاة،

بصم خطوات.. كان يقطعها كل يوم عند كل صلاة..

وقد أحبها أحب هذه الأمطار من الأرض، لأنها كانت ممشاه إلى الله
وإلى قرة عينه - الصلاة

وقد أحده إليها مع الحب وودء عجب فكرمه وأحله وقا

"ما بين منبري وبينتي، روضة من رياض الجنة.."

وكان يقول عن جبل "أحد".

"أحد" جبل يحبها، ونحبه.



وكان - عليه السلام - وهو يخطب الجمعة قبل أن يتحد لنفسه مسرًا، يقوم إلى
جدع عكة، فلما صبح المنبر، ووقف عليه "برسون" لأول مرة أدار وجهه حيث
الجدع انسى طندا وقف عليه من قبل، ودمعت عيناه
وعاد منبره متجهًا إلى الخدع في هام حارقه، واحتضه.
ثم عاد وصعد المنبر ولما فرغ من الخطبة ومن الصلاة، أوصى أصحابه أن
يصعوا الخدع في سقف المسجد حتى لا يُستهلك في عرض أحر تكريما له،
ووفاء!

يا س عبد الله

من مثلك، يجيد الحب.. ويجيد الوفاء؟؟

ألا وإن هذا، لشهادة لا ينسى لأحد أن يتأمل عينه تعليق وكلام، فقف
أمامه في أنهار وخشوع.. وهذا حسنا.

ولا كان الخصم عدونا على حياة الحب وأواصر الود فقد بهى عنه
"محمد" ﷺ وحذر منه، وأحر ساس أنه لا يحل لأحدهم أن يهجر أحاه فوق

ثلاث



بل أسأهم أن القطعة إذا استطل أمها، تكاد تصير جريمة قتل
انظروا هذا الحديث العظيم

"من هجر أخاه سنة، فهو كسفك دمه.."

أحل إن الشريعة عند "محمد" "حرمة قتل" لأنها عتداء على أعظم
مقدسات الحياة - الحب
ويقول عليه السلام

"كفى بك إثماً ألا تزال مُخاصماً.."

ولما كان الخصاص يأتي أحياناً من الملاحاة واجتدل لمخرص، فقد أراد
"محمد" ﷺ أن يتقى حو الحب و لإحاء من هذه الشوائب جمعاً.
دات يوم، كان أربعة من أصحابه هم أبو الدرداء، وأبو أمية، و وثمة من
الأسقع، وأنس من مالك - جالسين يتجادلون ويتمارون، وعلى الرغم من أن
جدالهم كان في شيء من أمر الدين إلا أن حده الجدال غير مأمونة العاقبة
وهكذا، ربما هم يتمارون حرح عليهم رسول الله ﷺ فغضب غضباً
شديداً ثم قال

"مهلا يا أمة محمد.."

"إنما هلك من كان قلبكم بهذا - ذرو المراء لقلة خيره، دروا
المراء فإن المؤمن لا يُمارى، ذروا المراء فإن الممارى قد تمت خسارته .
ذروا المراء فكفى بك إثماً ألا تزال ممارياً.. ذروا المراء فإن الممارى لا
أشفع له يوم القيامة.. دروا المراء فإن رعيم بثلاثة آيات في الحجة - في
رياضها، ووسطها، وأعلاها - لمن ترك المراء وهو صادق، ذروا المراء
فإن أول ما نهني عنه ربي بعد عبادة الأوثان - المراء."

أرأيت هذه اندمجة على المراء ٢٢.

إن من ورائها ولاء "محمد" ﷺ للحب، الحب الذى يجر له النروع والسيادة والذى يحاذر عليه من كل سوء يصيبه، أو روعة بهب عليه

* * *

وما يدوم به الحب بين الناس أن تكون للمعادير عندهم حرمة، وللعثرات من مغفرتهم نصيب.

ذلك أن من طائع الحياة الاجتماعية بما تطوى عليه من شد وحدث أن يتباين لباس، ويحتفوا، ويحطى بعضهم فى حق بعض
و"محمد" ﷺ لا يريد أن تكون هذه الأخطاء سيلا هدم الحب
ومن ثم أوصى بإقالة العثرة وقول المعذرة
يقول عليه السلام.

"من أقال نادماً، أقاله الله نفسه يوم القيامة"

ويقول

"من أتاه أخوه متتصلاً - أى معتدراً - فليقبل ذلك محققاً كان أو
مبطلاً، فإن لم يفعل - لم يرد على الحوص -"

ويرسم عليه السلام صورة لشرر الخلق، وأكثرهم إيلاً فى البشر، فيقول
"هم الذين لا يقبلون عثرة. ولا يقبلون معذرة.. ولا يغفرون ذنباً." (١)

أى إنسان هذا الذى تنفجر من جوانب نفسه ينابيع بر لا يصب لها
معين ٢٢

إنه "محمد" ﷺ

إنه المحب للودود .

والآن، لنصح إلى " محمد " ﷺ في كلماته الرضاء هذه

"إن أحكم إلي، أحاسنكم أخلاقاً. الموطئون أكثافاً. الذين يألفون ويؤلفون.."

"وإن أبغضكم إلي، المشاءون بالنميمة . المفرقون بين الأحبة الملتصقون للرأء العيب.."

أنغض الناس إلى " محمد " أكثرهم عداوة للحب هؤلاء الذين عر عنهم بقوله "المفرقون بين الأحبة" ألا تشمرون أريح هذه الكلمات، وعطرها...؟؟
ألا تسمعون عزفها، وموسيقاها ؟
ألا تبهركم عذوتها وألقها...؟
اطروا..

"المفرقون بين الأحبة"

"الأحبة"..!!!

إن اختيار هذه الصيغة من صيغ الجمع لم يكن صدفة ولا اعتباطاً
إن ما في كلمة "الأحبة" من رقة، وشفافية، وفيض حار، تصور لنا عمق إحساس " محمد " ﷺ بالحُب، وعظيم ولانه له..

وها هو ذا يحبر أن أحب أناس إليه، هم الدين يحسون. ويألمون، ويؤلمون .
وأن أبغضهم إلى نفسه، هم الدين يفرقون بين الأحبة
ذات يوم أقبل عليه السلام على أحد أصحابه وقال له:

"يا أبا أيوب.

ألا أدلك على تجارة..؟؟

ألا أدلك على عمل يرضاه الله ورسوله..؟؟

قال أبو أيوب: بلى يا رسول الله..

قال له "الرسول" عليه الصلاة والسلام: صل بين الناس إذا

تفاسدوا.. وقرب بينهم إذا تباعدوا.."



هذا رسول، أحبُّ الحب؛ وأدرك قيمة دوره في حياة البشر

فقال في الحب قولاً بليغاً، وسديداً..

وعاش حياته كلها محباً، ووجوداً

عليه صلوات ربنا وسلامه



..واللهو حرفته

أَدَبِيٌّ رِيٌّ فَأَحْسَنُ تَأْدِيِيٍّ

一
二
三
四
五
六
七
八
九
十
十一
十二
十三
十四
十五
十六
十七
十八
十九
二十
二十一
二十二
二十三
二十四
二十五
二十六
二十七
二十八
二十九
三十
三十一
三十二
三十三
三十四
三十五
三十六
三十七
三十八
三十九
四十
四十一
四十二
四十三
四十四
四十五
四十六
四十七
四十八
四十九
五十
五十一
五十二
五十三
五十四
五十五
五十六
五十七
五十八
五十九
六十
六十一
六十二
六十三
六十四
六十五
六十六
六十七
六十八
六十九
七十
七十一
七十二
七十三
七十四
七十五
七十六
七十七
七十八
七十九
八十
八十一
八十二
八十三
八十四
八十五
八十六
八十七
八十八
八十九
九十
九十一
九十二
九十三
九十四
九十五
九十六
九十七
九十八
九十九
一百

一
二
三
四
五
六
七
八
九
十
十一
十二
十三
十四
十五
十六
十七
十八
十九
二十
二十一
二十二
二十三
二十四
二十五
二十六
二十七
二十八
二十九
三十
三十一
三十二
三十三
三十四
三十五
三十六
三十七
三十八
三十九
四十
四十一
四十二
四十三
四十四
四十五
四十六
四十七
四十八
四十九
五十
五十一
五十二
五十三
五十四
五十五
五十六
五十七
五十八
五十九
六十
六十一
六十二
六十三
六十四
六十五
六十六
六十七
六十八
六十九
七十
七十一
七十二
七十三
七十四
七十五
七十六
七十七
七十八
七十九
八十
八十一
八十二
八十三
八十四
八十五
八十六
八十七
八十八
八十九
九十
九十一
九十二
九十三
九十四
九十五
九十六
九十七
九十八
九十九
一百

يُروى عنه وهو طفل صغير - أن بعض رفاقه وأترابه حدثوا في البحث عنه طويلاً - ذات يوم - حتى وجدوه بعد طول عث، جالساً في ظل حائط عند أطراف مكة وهمّوا به بياخذوه معهم إلى سامر فيه زمر، وطس، ولهو، فهز الطفل الصغير رأسه معتدراً، وقال:

"أنا لم أخلق لهذا.."

* * *

وبعد أن حاءه الوحي يدعوه إلى حمل تبعاته كرسول لبس وبشير، وذيبر - قامت زوجته خديجة رضي الله عنها ذات ليلة تلتمس مكنه حتى وحدته أخيراً، مختلياً وحده يناجي ربه في إخبث عميق وحشيب خديجة على صحبه من اسهر الموصول، وقترت مه في رفق، ودكرته بحق جسمه في نوم يريجه، ويشد أزر العافية فيه، فأحبها "محمد" عليه السلام:

"أنتهى عهد النوم يا خديجة..!!"

* * *

وحين انتهى عمله على الأرض، وأدى لواحب الذي احتير لأدته، واكمل لله له دينه، وأتم عليه نعمته، مرض مرض الموت وإذا هو راقداً في بر شه وحوه بعض أهله، أحزنه بشوة حبية.

وأطلق عييه نحو السماء في حور عظيم، وأخذ يقول:

"بل لرفيق الأعلى.."

"بل لرفيق الأعلى.."

وفاضت روحه، صاعدة إلى الرفيق الأعلى !

"الرفيق لأعلى" . هاتان الكلمتان اللتان حتم بهما "محمد" ﷺ كلامه في

الدنيا - هما قصة حياته .

وهما ليست كلمتين فحسب بل الحقيقة الكبرى التي فتح "محمد" ﷺ

عليها عييه طفلاً وأعمصهما لحظة الموت وهو يلحج بها ويردها في ولاء

منقطع الطير

لقد عاش "محمد" حياته كلها مع "الرفيق الأعلى" ..

عاش مع الله وعاش مع المستويات الرفيعة التي خلق عندها رسل الله

وعاش مع القيم العليا التي أثرها على ساعم الدنيا وحاهها، وغرورها .

وتناول "محمد" تبعاته بيد أستاذ عظيم..

وهكذا اكتسبت تصرفاته بطابع كله سمر وجمال وجلال

والسمو في حياة "محمد" يردهر ويترعزع، كم تزدهر البذور وتمو في

مزرعة طيبة التربة، طيبة المنخ، رينة بالماء

والسمو عند "محمد" ﷺ ليس حذا صارماً، ولا تقوى عاسية، ولا وقاراً

مكفهرًا.

إنما هي الأناقة..

أجل - أناقة النفس، وأناقة الجسم . وأناقة السلوك..

أناقة الكلمة التي يطقها.. وأناقة الحركة التي يأتيها . وأناقة النوايا التي

يضمهرها

وبعارة واحدة، أناقة حياته كلها

والأنافة هي سلوٲ "محمد" ﷺ يست تكلفاً، ولا محاولة. بم هي طبيعه
تنساب تلقائياً، وتعبر عن نفسها في مراج سيط وعظيم..
"ومحمد" ﷺ يصرح بكل يوم حديد، لأنه سيرداد فيه سموً، وصعوداً إلى
الرفق الأعلى.

إنه يدعو ربه دائماً هـ، الدعاء .

" اللهم آت نفسي تقوها. زكها.. أتم خير من زكها ."

فتزكية النفس، مسألته الكرى التى يعيش لها

وهو لا يزكيها بأى من تلك الوسائل التى تقوم على لانطواء والأناسة بل
يزكيها وسط لمعه.

وبى صوصاء الحياة، اللجة، وبين تفاصيلها المثيرة، يعمل "محمد" ﷺ ليحرز
السمو لذى قرر أن يصرب فيه رقماً فياسياً بعيد الماد

ومن ثم، فهو لا يعمل لنفسه وحدها، بل للناس جميعاً.

والسمو الذى أدركه لم يذهب به وحده . وم يخلعه ميراثاً مقصوداً على
الأهل والأقراء بل صار طريقاً عاماً للأحيل، الآتية من قريب وبعد

حين يتحدث "محمد" نبصر السمو وأنافة فى حديثه.

وحين يعمل "محمد" نجد السمو والأنافة فى عمله وتصرفاته

بل حتى حين اضطره أعداؤه لمدرلتهم، نجد السمو الرفيع فى بر له وصره،

فهو يأمر الجيش المقتل ألا يصرب إلا من يصربه ويرفع عليه سلاح

"لا تقتلوا امرأة، ولا وليداً، ولا شيخاً ولا تحرقوا نحيلاً

ولا زرعاً.."

وحسب الذين يرفعون أسلحتهم ويحوصون الحرب ضد "محمد" ودعوته وأصحابه، ينهى عن التمثيل بهم وينهى عن تشويههم ويقول لأصحابه
 "اجتنبوا الوجوه، لا تضربوها.."

والسمو عند "محمد" يتمثل في شدائه الأكمل دوماً، والأفصل أبداً، كما يتمثل في تعلق إرادته الدكية بكر ما هو حسن ونافع
 ما هو ذا يقول

"إن الله يحب معالي الأمور، ويكره سفاسفها.."

ولقد أحب "محمد" ﷺ معالي الأمور تأسيساً بربه، واستحاة لمطرقه وحسب
 تتبع أدعية "محمد" ﷺ التي كان يذبح بها ربه وخالفه، يتكشف لنا عظمه الشديد
 بالسمو.. سمو النفس وسمو العمل .
 فهو - في دعائه - لا يسأل الله معنماً حاصاً، ولا شيئاً من شهوات النفس .
 عما يسأل دائماً وسائل الارتقاء النفسي والسمو الأخلاقي

"اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري.. وأصلح لي دنياي
 التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة
 زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر."

* * *

"اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وأسرافي في أمري، وما أنت
 أعلم به مني.."

"اللهم اغفر لي جدي، وهزلي، وحطئي، وعمدي وكل
 ذلك عندي."

"اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما

أنت أعلم به نفسي، أنت المقدم، وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير.."

"اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والبخل، والهرم، وعذاب القبر.."

"اللهم آت نفسي تقواها. زكّها أنت خير زكّاها. أنت وليها ومولاها.."

"اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها.."

"اللهم إني أعوذ بك من مُعكرات الأخلاق، والأعمال، والأهواء.."

"اللهم ألهمني رشدي، وأعدني من شر نفسي"

"اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، واعنني بفضلك ممن سواك.."

"اللهم إني أسألك حبك. وحب من يحبك، وحب عمل الذي يلبغي حبك.."

"اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي، وأهلي ومن الماء البارد.."

"اللهم انى أسألك الهدى، والتقى، والعفاف، والعبي"

"يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لى شأنى كله، ولا

تكلنى إلى نفسى طرفة عين.."

"اللهم انى أسألك الرضا، بعد القضا.."

"وأسألك بَرْدَ العيش بعد الموت.."

"وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك . فى غير

صراء . مُضِرَّة، ولا فتنة مصلة وأعوذ بك اللهم، أن أظلم أو أظلم . أو

أعندى، أو يُعْتدى علىّ، أو أكسب خطيئة، أو ذنبا لا تغفره "

"اللهم اهْدنى لأحسن الأعمال، وأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها

إلا أنت . وفقنى سيئ الأعمال، وسيئ الأخلاق لا يقى سيئها إلا أنت.."

هذا نمودج للدعوات التى كان "محمد" ﷺ يلح بها على ربه صباح مساء

كدها تدور حول السموسمى والسلوكى الذى كان "محمد" بعشقه،

ويعيشه، ويحياه

لم يسأل الله جاقا.. ولا منصا.. ولا مُلكا .

بم سألته الانتصار على صعه، والتفوق على نفسه وسألته أحسن

الأعمال، وأحسن الأخلاق .

و لكلمات التى صاع منها دعواته، تكشف عن هُيأته العارم؛ وشوقه الكبير،

وتعلقه بهذا السمو الذى دارت حوله كل أفعيته و تنهلاته

وتبدأ رحبه لسمو عند "محمد" ﷺ باحباب الشبهات، والله مع عبها

لنستمع له بقول

"الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مُشْتَبِهَات، لا يعلمهن كثير من الناس. فمن اتقى الشُّبُهَات فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لدينه وعرضه ومن وقع في الشُّبُهَات، وقع في الحرام، كالأرعى يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه.."

ويحدثنا "وابصة بن معبد" فيقول .

"أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد ألا أدع شيئاً من البر والإثم إلا سألت عنه.."

"فقال لي اذُرْ يا وابصة، فذوت به حتى مسّت ركتي ركته، فقال لي.."

"يا وابصة: أخبرك عما حُتّ تسأل عنه؟ قلت يا رسول الله أخبرني. قال حُتّ تسأل عن البر والإثم. قلت. نعم فجمع 'صابعه الثلاث فحمل ينكبتُ بهي هي صدري، ويقول يا وابصة استفت قلبك"

"أبر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب. والإثم ما حاك في الصلب وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس، وأفتوك."

إن هي كن صمراً يمدى ما يشبه "حركة الردد" تخلج وتهر حين يوشك سلوكها أن يرتطم بسبلة، أو ينحرف إلى صلالة

وعند يمدى لنا هـ الدبر، علما أن نكف، ربيع الانحاء ولا سطر حتى يقع لاصطدام، ونوائع الأحصاء

هذا هو ما يعيه "تجنب الشبهات"

إن الخطأ الصغير يقصى إلى الخطأ الكبير

و "محمد ﷺ" في سموه الذي يحيا به، ويدعو له، يحذر من الأخطاء الصغيرة
لأنها آفة السمو والتفوق.
إنه يقول

"دع ما يربيك، إلى ما لا يربيك."

"لا يبلع العبد أن يكون من المتقين، حتى يدع ما لا بأس به،
حذراً مما به بأس.."
ويسأله سائل آخر عن الإثم فيقول له
"إذا حاك في نفسك شيء فدعه.."
ويسأله عن الإيمان فيقول
"إذا ساءت سيئتك، وسرتك حسبتك فأنت مؤمن"

هذا هو "الفد الداسي" بقرره "محمد" ويجعله الميراث العادل، والقسطاس
المستقيم.

وهذا "لقد الذتى" بداية كل حياة صاعدة، وأساس كل تفوق واكتمال
ولكن هذا انقذ لا يسعى أن يحاوز مهمته ليتحول إلى سوط عذاب، وفي
ملازمة دائمة تثير اشمزار للإنسان من نفسه، وتسمى لديه الشعور الحاد بالإثم
وبالدوسة.

فهو يقول لنا "محمد" عليه صلاة الله وسلامه:

"كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التواصون."

كما أن نأى الرسول ﷺ عن الشبهات لم يكن يعنى أنه مترمت، وأنه يدرس تقوى صارمة عذسة..

لا فمثل هذه التقوى يكون حفظها من السمو الحق، صحل وقلس إنما كانت تقوى "محمد" ﷺ تقوى فرحة، متعشعة، ناشطة. وسموه كان سمو العظماء بالعصرة، فلا تكلف، ولا صلب، ولا بطواء إنه ليمارح أصحابه فى وقار، ويشجعهم على أن يمازحوه فى وقار وإنه لىابق زوجته عائشة فى المسجد، فيسبها مرة، وتسقه مرة أخرى. وإنه ليسأل عائشة يوماً، وقد رقت حادماً لها إلى روحها - قنلاً "هلاً بعثتم معها من يغنى لها يا عائشة؟؟".

فتسأله عائشة.. يغنى لها ؟؟
ومادا يقول فى غائى يا رسول الله...؟؟
فيحييها، يقول

أتيناكم، أتيناكم .. فحيونا. نحييكم .
ولولا الحنطة الممرء .. ما سميت فتاياكم .
ولولا الذهب الأحمر.. ما حلت بواديكم" ..!!

وإنه - عليه السلام - لستهج تنهاجاً عظيم، بالكلمة الحلوة الطيبة تقال له .
أو تقل عنه .

جلس يوماً فى فناء بيته يحصف بعله، على مقربة منه جلست "عائشة" تطهو طعاماً وبطرت إليه فوحدته يعانى حصف بعله فى مشقة وكبد، وحيثه تنصعد عرقاً وأرادت أن تسليه، فقالت:

"لكأنت أغنى بقول لشاعر يا رسول الله فتهل وجهه، وقال ومادا قال يا

عائشة.. ٩٩"

قلت

ومُبرًا من كل غُيْر حِيضه وفساد مرصعة، وداء مُثِيل
وإذا بطرت إلى أَمِيرَة وحهه برقت كبرق العارض المَهْل

وإد الرسول ﷺ يصحك في جدل عظيم، ويغمره حبور مشرق، ويقول،
وقد فعمته الشوة.

"لا فَضَّ فُوك يا عائشة.."

"لا فَضَّ فُوك يا عائشة.."

وإيه ليحيته يومًا أحد المسلمين فزعًا من هول حطيئة ارتكها فيقول
"الرسول" في ساطة.

"هل شهدت معنا الصلاة؟.."

"فيحيه الرجل: نعم.."

"فيقول الرسول: لا تُرْعَ إن الحسرات يُذهبن السيئات..!!"

ويتهلل وجه الرجل، ويسترد ثقته نفسه من فوره.

وهكذا كان محمد ﷺ يملك بميزان التامى والتفوق

- احذر الخطأ.

- فإذا علست على أمرك وأخطأت، فاحذر اليأس.

أجل

- احذر الخطأ..

- واحذر اليأس

- وامض في طريقك راحيًا، صامدًا، صاعدًا..

والسمو عند "محمد" ﷺ يعنى إتقان العمل الذى يقوم به

"إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقَنَهُ.."

ويعنى كذلك حُب الجمال - جمال النفس، وجمال العمل، وجمال المظهر

والبحر

"إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ"

ويعنى البساطة، والتواضع، وبهذا الغرور:

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنْ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ.. أَلَا لَا هَـٰصِلَ

لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا

أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَىٰ.. إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ.. أَلَا هَلْ

بَلَّغْتُ."

"مَنْ بَطُلًا بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ."

والسمو كذلك يعنى الصدق، ويتطلبه

الصدق مع أنفسنا، والصدق فى علاقتنا بالناس، وبالأشياء يقول عند الله

بن عمرو بن العاص:

"قلنا: يَا بَنِي اللَّهِ، مَنْ حَيْرَ النَّاسَ؟ قَالَ: ذُو الْقَلْبِ الْمَحْمُومِ،

وَاللِّسَانِ الصَّادِقِ.."

"قلنا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ عَرَفْنَا اللِّسَانَ الصَّادِقَ، هَمَّ الْقَلْبِ

الْمَحْمُومِ؟"

"قال: التقى الذى لا إثم فيه، ولا بغي، ولا حسد."

"عليكم بالصدق. فإن الصدق يهدى إلى البر، والبر يهدى إلى الحمة، ولا يزال الرجل يصدق، ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدى إلى الفحور، والفحور يهدى إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً.."

* * *

"كُبرُ خيانة، أن تحدث أخاك حديثاً، هو لك به مصدق، وأنت له به كاذب.."

"شر الناس ذو الوجهين، الذى يأتى هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه.."

* * *

والسمو أولاً، وأخيراً، يعنى حُسْنُ الخلق، والمعاملة لطيفة الممتارة بلباس.
يقول عليه السلام

"ما من شيء أثقل من ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن..
وإن الله يبعث الفاحش البدئ"

* * *

"إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم والقائم"
"إن العبد ليدرك بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة، وشرف المنازل.."

* * *

"إنكم لن تسمعوا الناس بأموالكم، ولكن بسمعهم منكم بسط"

الوحي، وحسن الخلق.."

وأخيراً

"ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة.."

بأروع هذه العبارة الجامعة..

فالدنيا بما فيها من خير، والآخرة بما فيها من خير أعظم، يرحمهم، وينهق
عليهما حسن الخلق

إن الكلمة الطيبة، والتصرف ابوديع الطيب، يبلغن بصاحبهما أشرف
النار عند الله، وعند الناس

وهذا هو السمو عند "محمد عليه السلام" أن تمتلك ناصية نفسك، ورماد
سلوكك، وأن يكون اسمك في أسمع الناس كداء السجدة، لا كعويل العاصمة
وأن تقوم علاقتهم بك على أساس من المحبة، لا البرهة ومن الثقة، لا الشك
ومن الطمأنينة، لا الفرع.

لقد بلغ "محمد" في سموه الأخلاقي مبلغاً لا يُطمع بعده في مزيد ومع
هذا، فقد كان دائم الالتئال إلى الله بهذا الدعاء..

"اللهم كما حسنت خلقي، فحسن خلقي.."

* * *

ويتحلى سمو "الرسول" ﷺ في حفاظه الشديد على كرامة الكائن الشري
ومراعاته الدكية لمشاعر الناس

ذات يوم جاء إليه سارق وأقبل الشاهد الذي رآه يسرق، فقال

نعم رأيت هذا يسرق

فقال "محمد" رسول الله ﷺ

"هلا قلت: رأيتك يا أحد؟"

انظروا الرجل.. وانظروا الإنسان

به.. عليه السلام.. طبلًا تحدث عن السرقة، كجريمة، وعن السارقين كحبة
ولقد أسمى السرقة: سرقة.. وأسمى السارقين: سارقين.

ونكن عدم يصير الأمر أمر فرد بداته، والتهمة تلقى في وجهه، وفي
مواجهته.. فهذا ينبغي أن تراعى مشاعره، لأنه قبل أن يكون محرمًا، فهو إنسان فيه
أشياء كثيرة ينبغي أن ترحم، وأن تكرم.

وهكذا ود محمد لـ أن الشاهد قال "رأيتك يا أحد" وم نفس "أنته
يسرق"!!

أين نجد تكريمًا لدنس، ولمشاعرهم وأين نجد حنانًا صادقًا دقيقًا مثل هذا
التكريم، ومثل هذه الحنان...؟؟

هذه كانت شيمة "محمد" ﷺ دائمًا

لم يكن يواجه أحدًا بأخطائه أمام الناس بن يقول

"ما بال أقوام يفعلون كذا، وكذا.."

تاركًا الفاعل الحقيقي يحس دسه، ويعرف خطاه، دون أن يعرف لآخرين
عنه شيئًا

ودات يوم، وهو جالس مع أصحابه في المسجد يتطرون الصلاة، وكانوا
حديثي عهد بوليمه أكنوا فيها لحم حرور. استعنت في المجلس ربح غير طيبة
أدرك "الرسول" أنها من عارات الخوف، وتمس الأمعاء

وأدرك أن صاحب هذه البرح قد وقع في حرج شديد فالمفروض أنهم
جميعًا منوصنون وبعد لحظات سيقومون للصلاة، فإذا أراد ذلك الرجل المجهول

أن يقوم ليتوصأ، بأن للآخرين أنه مصدر الريح الكريهه وفي هذا حرج له،
واخجال ..

وهو أدر "الرسوب" بصره على وحوه الخلسين جمعاً وقال

"من أكل لحم جزور.. فليتوصأ..!!"

قل أصحابه: كلا أكلنا لحم جزور يا رسول الله.

قال. "إد، كلكم يتوصأ"!!..!

وقاموا جميعاً للتوصوء، ومن بينهم هذا الذي أنقذته من الحرح بقصة

"محمد" ﷺ، وفطنته، ورقة إحساسه!!

أية شمائل سامية، هذه التي تعنى بكل دقيقة وصغيرة تحس شعور الناس،

وأحاسيسهم !!!



إد سمو "محمد" ليسبق كل محووه لوصعه، أو لإحاطة به وأعظم م فيه

أنه ابن المطرة، ووليد السحبة والبدية.

وليس ثمة كلمات تستطيع تصوير سمرة سوى كلماته هو التي قدما متحدثاً

سعة الله عليه

"أدبنى ربى . فأحسن تأديبى.."





.. ومشاكل الناس عبادته

لَتَنَامُ مَيَّائٍ، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي..

لنبدأ بهذه القصة..

كان من بين أصحاب النبي ﷺ، صحابي جليل هو "عثمان بن مظعون" رضي الله عنه..

وكان عثمان متتلاً، غير مشفق على نفسه في العبادة، حتى لقد همّ ذات يوم أن يحصى نفسه، ليشخص نهائياً من نداء غريزة الجنس .

وذات مرة دخل الرسول على زوجته عائشة، فوجد معها بعض النسوة، ووقعت عينه على إحداهن، وكانت رثة الهيئة مكتئبة المحيا.

فسأل "محمد" عن أمرها، فقيل له: إنها زوجة عثمان بن مظعون وإنها تشكو بثها وحزنها، فعثمان مشغور عنها بالعبادة - يقوم لله، ويصوم نهاره..

وذهب الرسول ﷺ حيث لقي ابن مظعون، فقال له:

"أما لك بي أسوة؟"

"قال: بآبي أنت وأمي.. وماذا.."

"قال الرسول: تصوم النهار، ويقوم الليل؟"

"قال: إني لأفعل.."

"قال الرسول لا تفعل.."

"إن لجسدك حقاً، وإن لأهلك حقاً.."

ومثل "عثمان" نُصح الرسول ﷺ وأمره، وقرر أن يؤدي حق أهله ؟!

والآن، انظروا بقية القصة..

فهي صبيحة اليوم لتلى ذهبت روحة "عثمان بن مظعون" إلى بيت
النبي ﷺ عطرة، بصرة، كأنها عروس واجتمع حولها السوقة، فلأتى كادت تجلس
بينهن بالأمس، رنة بانسة

وأخذن يتعحين من فرط ما طرأ عليها من بهاء، وزينة

قُلْنَ لها، ما هذا يا زوج ابن مظعون ؟؟

قالت: وهي تصحك من قلبها:

- "أصابت ما أصاب الناس" - "؟!"

بالأمس، لم يستطع الرسول ﷺ على الأمر صراً، حين رأى أمامه زوجة
يؤرقها هجر زوجها، وتصيبها مرارة الحرمان، فحلف لحدثها، وذكر زوجها لها
عليه من حق.

فما أن جرّ عيها الليل، ثم طلع عيها صبح يوم بهيج، حتى كانت ترهب
فرحة مصمئة، تقول لصاحباتها:

- "أصابت ما أصاب الناس"

أليس عظيم، وقد أحاطت عظمتها بكل شيء؟

أليس إسائناً، وقد وسعت إسناسه كل شيء؟ - هذا لرسول الذي نشعله

وتهمه مشاكل الناس إلى هذا الحد، وإلى هذه العتبة ؟!؟

حقاً، إنه لرحمة مهددة.

وإنه - عليه الصلاة والسلام - ليحعل السهر على مشاكل الناس، والسعي

لحلها، عبادة من أفضل العبادات وقربى من أركى العبادات.

يقول في هذا المقام

"لأن أمشي مع أخ في حاجة، أحب إلي من أن أعتكف في

مسجدي هذا شهراً.."

ويسأله سائل

"يا رسول الله: أى الناس أحب إلى الله؟"

"فيعيب عليه السلام: أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس"

ويخص الناس على التكافل حصاً لا يقطع، ويرفع خدمة الناس إلى الدروة
بين الأعمال الصالحة

بقول عليه السلام

"إن لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس، يفرع الناس إليهم فى

حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله"

إن ركة احاء، لا تقل شأن عند "الرسول" ﷺ عن ركة المال والثروة

والدين يحلون بحاجتهم، ويقصرون حاجتهم ويفودهم وحملهم - عن

مساعدة الآخرين ومساندتهم، ليسوا من الله فى شيء، وما لهم بين الخيرين مكان

وبما لإنسان حقاً، والمؤمن حقاً، هو الذى يكون للآخرين عوناً وباصراً،

يقول عليه السلام

"من كان وُصلةً لأخيه إلى ذى سلطان فى مبلغ بر، أو إدخال

سرور، أو تيسير عسير، أعانه الله على إجازة الصراط يوم القيامة

عند دحض الأقدام، ورفعته فى الدرجات العلى من الجنة"

بل إن الرسول ﷺ، ليرى فى خدمة الناس، نعمة من الله أنعمها على الدين

يوفقون لها

وهو هذا يحذر من مللها، والسأم منها، حتى لا ترول

يقول عليه السلام.

"إن لله أقوامًا اختصهم بالنعم لمسافع العباد.. يُقرهم فيها ما بذلوا.. فإذا منعوها برعها منهم، فحولها إلى غيرهم.."

يبد أن الرسول ﷺ يريد هذه الخدمة خاصة، ويريد لها أمانة عاده
فإذا شفعت لإنسان، وسرت معه في حاجته وقصبتها، فيجب ألا تأخذ
مثوبة شفاعتك ومسعاك، رشوة محرمة..
وأيضاً، يجب ألا يكون مسعاك به نوعاً من المحبة لظلمة ولتحيز الذي يصعب
على آخر حقاً..

أعني - أن مساعدة الآخرين، يجب أن تتم في مراعاة كاملة فلا تنتظر عيها
أجر المرتشى، ولا تساعد أحداً في نيل ما ليس له بحق..
يروى عنه عليه السلام قوله.

"من شمع شماعة لأحد ما هدى له هديه عليها فقبلها، فقد أتى
باباً عظيماً من أبواب الكبائر"

بن "محمدًا" ﷺ أوصى الناس أن يتهادوا، وأحذر أن تدن أهديا فيما بينهم
يشد أصرة الود والإحاء..

ولكن عندما تصبح أهديه، رشوة متكررة، فإنه يرفضها ويحذر منها على
النحو الذي رأينا

وأن حين تشفع لأحد شماعة عادلة فإنك بهذه الشماعة تؤدي ركاه
جاهلك، فإذا تفضيت عليها مثوبة، ولو هدية كنت كمن يدفع لفقر ركاة ماله،
ثم يتقاضاه بديلاً، وعوضاً عنها !!

هذا موقف "محمد" من يأخذ على شفاعته وعونه أجر

أما موقفه من يحيى شعاعته بحدة تصيب حقوق الآخرين فيها هو ذا
 "من أعان ظالماً بباطل، لينحصر به حقاً فقد سرى من دمة الله
 وذمة رسوله.."

* * *

"مثل الذي يعين قومه على غير الحق، كمثل بعير تردى في بئر،
 فهو ينزع منها بذنبه."
 "آى يحاول الخلاص دون أن يقدر عليه.."

هكذا ينهى الرسول عن تكافل الإنسانى كل حيث، ويجزئه من كل عرص
 رحيم ودني.

وذكرت حاجات الناس ومشاكلهم، لا سيما إذا كانت مشاكل جماعية،
 وحاجات اجتماعية - تتطلب قدرة لا تتوافر لغير أولى الأمر، والقائمين بالحكم
 أقول، - كما - ذلك كذلك، فإن الرسول ﷺ جعل هذه الحاجات أمانة ووديعة
 بين أيدي الحاكمين.

فأما من يصون الوديعة منهم فهذه مشيئة

"إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن،
 وكلنا بيديه يمين."

وأما من فرط، واحتجب عن الناس، وأهمش شئونهم، فهذا جزاءه

"ما من أمتى أحد ولي من أمر الناس شيئاً لم يحفظهم بما يحفظ
 به نفسه، إلا لم يجد رائحة الجنة.."

* * *

"ما من إمام يعلق بانه دون ذوى الحاجة والخلة، والمسكنة - إلا
أغلق الله أبواب السماء دون حلتة، وحاحته، ومسكنته."
"من ولي من أمر الناس شيئاً فاحتجب عن أولى الضعف
والحاجة، احتجب الله عنه يوم القيامة"

* * *

إن محمداً الإنسان البار الكريم، يريح حيق العقبات من طريق الناس، ويمنح
جميع لأبواب تتهدمها مشاكلهم وناسيهم حتى تلك لأبواب الصحمة
المدحجة بالحرس والرهبة - يفتحها "محمد"، ويأمر بإحلاء الطريق للصعفاء،
ودوى الحاجة، حتى يقول كمتهم للحاكم الذى عليه أن يسمعها ويصت ها.
ثم يسجر ما نستحقه من رعاية وكفالة
ولأن رعاية الناس، وصور مصايرهم، هما وطيفة الحاكم، وهما لأب عمل
وواحه - حذر "محمد" ﷺ أن توضع هذه المصاير فى أير مرتجة، هزيلة
يقول عليه لسلام

"من استعمل رجلا من عصابة وهيم من هو أرضى لله منه، فقد
خار الله، ورسوله، والمؤمنين."

أحل.. إن الأيدى القوية، النظيفة، العادلة، البارة، هى وحدها اتى تؤئن
على مصاير الحق، وحاجات الناس
إن الحكم تصحى لا تجارة، وخدمة لا استعلاء
ولكنا بحسبه رهوا، وعُلُوًّا؛ فسارع إليه، وبرئى عليه
لنظر ماذا يقول "الرسول" ﷺ

"ليأتين على القاصى العادل يوم القيامة ساعة، يتمى أنه لم

يقص بين اثنين في ثمرة. ١١"

فاض عادل ٢٢

وثمرة ٢٢

فكيف بالظالم إدن.. ٢٢

وكيف بالدين يعتالون الحقوق، ويعصمون بالمصاير ١١؟ ولنقرأ هذا
حديثاً أيضاً

"إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة.

أولها ملامة.

وثانيها ندامة .

وثالثها، عذاب يوم القيامة، إلا من عدل.."

كل هذا، يقوله "محمد" ﷺ حرصاً منه على مصالح الناس، وحرصاً على
التماسي في خدمتهم، وتوفير العدل والأمن والخير لهم .

وكل ذي حاء يبجل بجاهه .

وكل ذي سلطان يحور سلطانه

فقد حان أقدس أمانة أوصى بها "محمد الأمين" ألا وهي: حجات الناس
وحقوقهم ومصايرهم

"إن الله سائل كل راع عما استرعاه، حفظ أم ضيع."

* * *

كان "محمد" ﷺ شديد الاهتمام بالناس، حتى لقد كان يحرم نفسه، وأهله

ليوفر للناس بعض ما هم إليه محتاجون

وإذا كان قومه، الذين يعيشون يومئذ بالمدينة، يعانون نة في الررق وشطط

فى الحياة؛ فقد جعل شعاره ونهجه أن يكون هو وأهله - أول من يجوع، إذا أصاب لبس محمعة.. وآخر من يشبع، إذا أتى الناس شبع..! ولطالما كان يهوى دوى اليسار أن يمسكوا فصل ما عندهم ويحترقوا فائض دحيمهم.

يقول "أبو سعيد الخدرى" رضى الله عنه :

"بينما نحن فى سفر مع النبى ﷺ، إذ قال لنا "من كان معه فضلٌ ظهر - أى راحلة فائضة عن حاجته - فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد، فليعد به على من لا زاد له.."

ثم ذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل - أى فيما يزيد عن حاجته"

ويرفع "الرسول" ﷺ فى هذا المقام مثلاً أعلى للناس كي يحشوا حدوده، ويقول

"إن الأشعريين إذا أرملوا فى غزو، أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة - جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم فى إباء واحد بالسوية، فهم منى، وأنا منهم."

لقد كان "الرسول" ﷺ حريصاً على أن تكون طافات المد والشروة فى خدمة الناس جميعاً، فحث على السخاء والبذل، وكره إلى الناس الشح والاكترار يقول لأصحابه

"أيكم مالٌ وارثه، أحب إليه من ماله؟"
"قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه" قال. فإن

ماله ، ما قدم - آى اتفق ويدل . ومال وارثه ما آخر - آى ما اكتنز
وادخر..

ويقول عليه السلام

"ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما -
اللهم أعط منفقاً خلفاً .. ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً.."

ويضرب الرسول ﷺ مثلاً، ويرسم صورة حملة لمضى الله حين يعمر
البدلين، فيقول:

"بينا رجل يمشى بفلاة، إذ سمع صوتاً فى سحابة يقول: اسق
حديقة فلان فتتحى ذلك السحاب فأخرج ماء فى حرة - آى أرض ذات
حجارة سود - فإذا شروحة - آى مسيل ماء - قد استوعبت ذلك الماء
كله، فتتبع الماء، فإذا رجل قائم فى حديقته يحول الماء بمسحاته..
فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان وهو الاسم الذى سمعه فى
السحابة.."

"فقال: ولم تسألنى عن اسمى.."

"فقال: لى سمعت صوتاً فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول: اسق
حديقة فلان، لاسمك. فماذا تصنع فيها.."

"فقال: أما قلت هذا فإنى أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق
بثلثه وأكل أنا وعيالى ثلثاً وأرد فيها ثلثاً "

إنه مثل حين نصره "محمد" ﷺ لئلا يعلموا أن م يدونه فى سبيل
التكافل الاجتماعى لا يذهب عبد الله بدداً، ولا يصيب عليهم شدى ويرى يسميه
الله لهم، ويرده عليهم مغام مصاحفة

و ذات يوم رآه سو عمرو بن عوف، ركاب هم حدائق واسعة ثمى إلى
 "الرسول" ﷺ أنهم أحاطوها بأسوار عالية، تتحول بين الناس وسه، فقال لهم
 "الرسول" حين قدموا عليه.

"يا معشر الأنصار، كنتم فى الحاهلية - إذ لا تعبىون الله تحمّلون
 الكلّ وتفعلون فى أموالكم المعروف، حتى إذا منّ الله عليكم
 بالإسلام، وبنييه، إذا أنتم تحصنوا أموالكم.. (يا معشر الأنصار
 فيما يأكل ابن آدم أجر وفيما يأكل السبع والطير أحر).

ولم يكذ الأنصار يسمعون هذا القول من رسول الله حتى عادوا فهدموا
 أسوار حدائقهم

ويقارن "الرسول" بين الناذين والأشحاء مقارنة سريعة ولكنها فصلة،
 فيقول.

"السعى قريب من الله؛ قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد
 من النار"

"والحيل بعيد من الله، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب
 من النار."

ماذا يريد "محمد" ﷺ متوجهاته هذه؟

إنه يريد أن يكون المال حادماً، لا سيداً

ويريد أن تتوافر للناس جميع المراض التى تعد عنهم مرة مشكلهم،

وشظف حياتهم، حتى يحياوا الحياة الطيبة التى يرجوها لهم.

و خدمة الناس عند "محمد" ﷺ مقدسة، ومشوتها من الله عظمة وسادة.

و "الرسول" للإنسان، النار بالناس، لحربص عليهم - يأمر أن يسدى

عصا لبعض العون - أيًا كان هذا العون

يقول عليه سلام:

"لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تغرغ من دلوك في إساءة
المستغنى.. ولو أن تكلم أخاك، ووجهك إليه مبسط
ولقد ذهب إليه بعض أصحابه يوم أسير، لأنهم يريدون أن يتصدقوا من
أموالهم، لينالوا ثواب المتصدقين ولكن لا أموال لهم يدلون بها
قالوا للنبي

"يا رسول الله: من أين لنا صدقة نتصدق بها؟ فقال إن أبواب
الخير لكثيرة التسبيح، والتحميد والتكبير، والتهليل، والأمر
بالمعروف، والنهي عن المنكر.."

ثم قال

"وثميط الأذى عن الطريق
وتسمع الصم..
وتهدى الأعمى .
وتدل المستدل، على حاجته..
وتسعى بشدة ساقيك مع اللففان المستغيث، وتحمل بشدة
ذراعيك مع الضعيف..
فهذا كله صدقة منك على نفسك.."

تأملوا قوله عليه السلام "تسعى بشدة ساقيك مع اللففان المستغيث،
وتحمل شدة ذراعيك مع لصعيف" إنها كميات حرة مصبغة، تصور حياته
الدافق على الناس، وتصور رعيته المحبة في أن يتبادل الناس المعرفة، والمعروف،
ويعيشوا معاً كالسيان يشد بعضه بعضاً

و "الرسول" ﷺ كبير، حرص على كرامة الكس اشرى
 هـد يهـى انذير يساعدون لأحرير عن أن يطلو أعماهم دنن، الأدى
 فإذا كان العون مالياً، يأمر أن نذبه فى السر
 وفى كل حالات العور و مساعدة يهـى عن المس، لأن فيه حرك لمشاعر
 الدين تلقوا النصرة، والمعونة.
 بقرل عليه السلام

"خباوا، وخسروا.."
 "قال أصحابه: مَنْ هُم يا رسول الله؟"
 "قال: الممبِلُ إزاره خيلاء
 والمثانُ بما أعطى..
 والمنفق سلعته بالحلف الكاذب..
 المثان بما أعطى.."

يا محمد من إنسان ذكى العزاد، عظيم لحدب
 به بظهر لعلاقات لإساسة من كل أعثبها اصارة، وأشواكها المؤذية
 وإنه ليرفع خدمه اسس إلى مستوى الرحب الذى لا يتغى أن يحول دونه
 أنانية، ولا يشوعه من، ولا يفسده غرور..

هذه حقيقة من حقيقت قلب كبير عاش مع الناس فى آلامهم، وفيما يرحون
 ناصباً لا يهدأ، يقطن لا ينام..
 أجل - فلقد صاب عيب "محمد" ﷺ كما قال ولكن فله السك البقطن
 المتصحر حائناً ورحمة، م يسم وكأى م يكن يسغى له أن يندم؟ وعاش العمر كله فى
 بقظة دائبة، وصحور مفتوح

- مع ربه: يذكره ويعبده..

- ومع الناس: يدفع عنهم الكروب، ويعاونهم على شدائد الزمان، ويهديهم
للتى هى أهدي وأقوم..

هذا نهج رسول، لباب عمله العبادة والنسك. ومع هذا فهو يعلن أن يضع
خطوات يمشيها فى حاجة محتاج - أحب إليه، وأزكى لديه من أن يعتكف فى
مسجده شهراً - يقوم ليلة ويصوم نهاره!!
إنه إنسان، احتشدت خصائص الإنسانية وفضائلها فى نفسه احتشاداً بلغ
الغاية فى القوة، والاتساق.

ثم هو إلى هذا، رسول اختاره الله على علم، وأمدّه بكل مزايا الاصطفاء.

* * *

وبعد..

فهذه "إنسانيات محمد" .. أتراها قد انتهت عند آخر سطور هذا الكتاب؟؟
أو تحسب أن هذه الصفحات تزعم لنفسها أنها أوفت على الغاية وشارفت
المنتهى؟؟

كلا.. "إنسانيات محمد ﷺ" متراحبة تراحبُ الأفق.. غزيرة كالضوء
المنشثر.. عتلة كالسحاب الثقال..!!

وهذا الجهد الذى أسعفه توفيق الله وعونه، ليس سوى "إيماءة" إلى هذه
الإنسانيات الخافلة، التى صبغها الله بصبغته الحسنى، وجعلها للناس مناراً عالياً..
وهادياً.



فمن شاء، فليصطنع لنفسه من هذه "الإنسانيات" قَدرَ مستطاعه، أسوةً بحسنة وقدوة حافزة.

ومن شاء فليتخذ من هذه "الإيماءة" دليلاً للطريقة التي يُحسُن أن نفهم بها "محمدًا" ﷺ و "إخوة محمد" من الأنبياء المرسلين.



فهرس

مقدمة ٩

الفصل الأول : الرحمة مهجته ١٣

الفصل الثاني : .. والعدل شريعته ٥٣

الفصل الثالث : .. وألحب فطرته ٨٧

الفصل الرابع : .. والسو حرفته ١٠٩

الفصل الخامس : .. ومشاكل الناس عبادته ١٢٧

كتب المؤلف

- ١- من هنا نبدأ
- ٢- مواطنون .. لا رعايا
- ٣- الديمقراطية، أبدا
- ٤- الدين للشعب
- ٥- هذا.. أو الطوفان
- ٦- لكى لا تخدثوا فى البحر
- ٧- لله والحرية. (ثلاثة أجزاء)
- ٨- معا على الطريق محمد والمسيح
- ٩- إنه الإنسان
- ١٠- أفكار فى القيمة
- ١١- نحن البشر
- ١٢- إنسانيات محمد
- ١٣- الوصايا العشر
- ١٤- بين يدي عمر
- ١٥- فى البدء كان الكلمة
- ١٦- كما تحدث القرآن
- ١٧- وجاء أبو بكر
- ١٨- مع الضمير الإنسانى فى مسيره ومصيره
- ١٩- كما تحدث الرسول (مجلد)
- ٢٠- أزمة الحرية فى عالمنا
- ٢١- رجال حول الرسول (مجلد)
- ٢٢- فى رحاب على
- ٢٣- وداعا عثمان
- ٢٤- أبناء الرسول فى كربلاء
- ٢٥- معجزة الإسلام عمر بن عبد العزيز
- ٢٦- عشرة أيام فى حياة الرسول
- ٢٧- .. والموعود الله
- ٢٨- خلفاء الرسول (مجلد)
- ٢٩- الدولة فى الإسلام
- ٣٠- دفاع عن الديمقراطية
- ٣١- قصتي مع الحياة
- ٣٢- لو شهدت حوارهم لقلت
- ٣٣- الإسلام ينادى البشر
- ٣٤- إلى كلمة سواء (تحت الطبع)
- ٣٥- قصتي مع التصوف

تطلب كتب المؤلف من دار المقطم للنشر والتوزيع